
نخبة الفكر
1435هـ - 2014م
كتاب
ما بعد المقاربة؛
ربيع المجاهدين
واقعٌ و آمال
للشيخ
أبي قتادة الفلسطيني
- فك اللَّه أسره -

مجموعة نخبة الفكر تقدم:

ما بعد المفاصلة؛ رَبِيعُ المُجاهِدِين

- واقع وآمال -

كتبها:

الشيخ عُمَر بن محمود أبو عُمَر

أبو قَتادة الفلسطيني - فك الله أسره -

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ...

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على النبيِّ الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد...

فقد جرى بعد ذكر نازلة العصر التي كتبتُ عنها في [المقاربة] ماءٌ كثير وأحداثٌ جِسام، وصارت نوازلُ أخرى أعظمها وأجَلُّها ما أكرم الله به أرض الشام المباركة من الجهاد، وتَمَكُّن أهله من أراضٍ، والتحاق ركائب إيمانية بأهله وجنده، ومن تأمَلَّ ما نفخ الله من روح حب الجهاد في قلوب المسلمين نحو الشام يوقن أن هذا الأمر له ما بعده من الخير، فإن مواطن الجهاد السابقة مع خيرها وفضلها لم تصل لهذا الفضل والحُبِّ المثبوت في النفوس الذي عليه الجهاد اليوم، ولولا ما يقيمه الطواغيت من موانع اللحاق به لكان الآلاف والآلاف هناك يقيمون أعظم عبادات هذا العصر والحمد لله ربِّ العالمين.

وهذا الجهاد العظيم أجمعت عليه القلوب إلا أهل النفاق والجُبن، فإنه جهادٌ جامعٌ لكل الفضائل؛ وأعظمها أنه جهاد المرتدين الذين بدلوا شريعة ربِّ العالمين، وكل من هَدَى الله تعالى قلبه يعلم أن مقدمة تحقيق الوعود الإلهية بعودة الأرض المباركة إلى حظيرة أهل الإسلام وخلاصها من إخوان القردة والخنازير، ويعلم أن هذا لا يتحقق أبداً حتى تزول حلق الردّة الحامية لهذه الدولة المسخ الخبيثة، وأما الجاهلون الضالون المانعون أهل الإسلام من هذا الجهاد واللحوق به فإنهم لا يجادلون ولا يناظرون مناظرة الجاهل بالحق حين يخطئه، بل هم أهل خيانة وخُبث وصِلاتهم بالباطل وأهله لا يَشكُّ بها من عَلِمَ حالهم ودينهم الذي يدينون به، فهم مع أهل الشر والطغيان كالببغاء يرددون أقوالهم واختياراتهم، ومما يؤكد هذا أن أهل البلاء والجهاد يسمعون من هؤلاء المنتسبين الضالين عين ما يسمعون من الطواغيت وأعوانهم في دوائر التحقيق، فهذا جهادٌ جامعٌ لجهاد المرتدين والزنادقة، وهو مقدمة جهاد اليهود والغاصبين للأقصى وبيت المقدس، لكن لما كان أئمة الجهاد والقائمون عليه هم من حمل راية التوحيد وتعرية الطواغيت، ومن قام عليه بالإبتداء جهاداً وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر شرقت نفوس هؤلاء أن ذهب خصومهم بالفضل والإمامة وهم أهل الإرجاء والبدعة ومهادنة الطواغيت، فبدل أن يرعدوا عن غيهم، ويعودوا

إلى رشدهم ودينهم ذهبوا إلى أكثر مما هم فيه حتى وصلوا إلى منع الجهاد الذي لا يجهله إلا خائنٌ لدينه أو جبان، ولو اتبعت الأُمَّة أقوالهم اللعينة لمحت الإسلام في النفوس ولذهب عنه ديار الإسلام، فإن طاغوت سورية كغيره من طواغيت العرب حارب الإسلام وشرائعه حتى وصل به إلى منع المُسلمات المُحجبات من التدريس في المدارس النظامية، وهذا لوحده في دين الله تعالى يوجب الجهاد لمن عَلِمَ الفقه أو شيئاً منه القليل، لكن أين هؤلاء من هذا الدين العظيم؟

وهذا الجهاد بفضل الله تعالى صار أئمته وقادته هم من رفعوا دعوة التوحيد والبراءة من الشرك وأهله، وكان رجاله ممن خاضوا غمار الحروب ضد الكافرين بكل أصنافهم من أفغانستان إلى العراق إلى كل المواطن العظيمة، وهذا من أعظم الأدلة عند من هدي قلبه إلى صواب هذا الطريق الذي سلكه هؤلاء ودفعوا من أجله الأرواح والأوقات، ومن دلائل صدق وصواب هذا الطريق أن الأُمَّة تشيد بهؤلاء ولا يرون رجاء الخير إلا على أيديهم، لأنهم أهل المهمات العالية والمقاصد الشريفة، وهم أهل البذل لدين الله تعالى، لا غيرهم الذين اتخذوا الدين مطيةً للتكسُّبِ والغنى ورغد العيش ونعوذ بالله من شرهم وهواهم.

وإنه مما يهدي السالك إلى طريق هؤلاء القوم وأنه أقوَمُ طريق وأرشده أن أحزاب العمل السياسي الإسلامي قد وهنت بهم سُبُلُهُم ولم توصلهم إلى مُرادهم من التمكين الذي تحصلُ به العزَّة والغلبة على الخصوم، بل لم يتحقق بهم قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾، بل حصل بهم خذلان الدين وأهله، حتى قالت العموم من الناس: "انتخبناهم من أجل الإسلام فلم نجد منهم الإسلام."

وهذا الذي حصل في تونس ومصر اليوم، حصيلة ما زرعوا من السُحت والكذب والبهتان على أهل الإسلام، وكانت تجربتهم في هذا الابتلاء هو المزيد من الجهالات والبدع والضلالات، فقد آل الأمر إلى حزب النهضة في تونس إلى التخلي عن الإسلام بل حتى عن اسمه في الدستور حتى يرضى الزنادقة من العَلمانيين، ولم يرضى الكفر عنه حتى جعل همه ملاحقة الدعاة إلى الله وحبسهم وقصدهم بالقتل وتشريدهم، وهو الآن يريق ماء الحياء ويتنازل حتى لم يبق عليه ساترٌ من دينٍ أو خُلُق بل ولا موقفاً سياسياً، وهو يعلم أنه حزبٌ ترك رعاية الناس وتربيتهم ودعوتهم، بل انشغل أفراده إلى آذانهم بالعمل السياسي على وجهه الجاهلي ومع ذلك صدوا الدعاة الذين انتصبوا في المساجد لتعليم الناس دينهم، فاستجابوا لصراخ الزنادقة العَلمانيين في ملاحقة دعاة التوحيد والسُنّة ومنعهم من المنابر وكل من راقب الوضع هناك وأنصف عَلِمَ أن الزنادقة هم من بدأوا بالكفر ومعاداة الإسلام والاستهزاء به وحق عليهم قوله تعالى: ﴿وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ .

وهذا لا يُستَغرَبُ منهم، لكن الغرابة والجهالة أن يلتحق بهم في هذا الشر حزبٌ إسلامي أُسُّ عماده كما يزعم أهله «الحفاظ على الحريات وترك الناس واختياراتهم» لكن صنائعهم تقول إنهم يُجيزون حرية الكفر لا الدعوة إلى الله تعالى، والعجب أن قادة هذا الحزب كغيرهم ذاقوا مرارة الظلم والسجون فلم ينفعهم هذا من الوقوع في الظلم والبهتان والكذب، وهذا مؤذنٌ بزوالهم وعدم استحقاقهم الوراثة، وصبر إخواننا وثباتهم يجعل منهم أئمة الشأن إن شاء الله تعالى فيما يأتي.

وهذا الذي وقع من إخوانهم في مصر، فإن الله أورثهم الإمارة فلم يكونوا أهل ثقة لا في دين الناس ولا دنياهم، بل ظهر عوارهم، وكل ما زعموا من قبل بأنهم أهل حكمةٍ سياسية ثَبُتَ أنها مجرد دعاوى لا برهان لها، ولم يبق في أذهان الناس إلا رسالة مرسي إلى عدو الله بيريز، وقبوله التنسيق الأمني مع دولة الخبث دولة يهود، وكل ما فعلوه أنهم بذلوا وسعهم وطاقتهم في إرضاء الغرب عنهم، وكذا التقرب إلى العلمانيين والزنادقة، فلم يرضى عنهم أحد – ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ – فطريق هؤلاء القوم في عدم أخذهم الحقَّ بقوةٍ كما أمر الله تعالى في كتابه أوصلهم إلى حائطٍ مسدود من نزع التوفيق الإلهي وإرضاء المؤمنين، بل ولا إرضاء الكافرين، وشأنهم كمن ركب فرسين فلم يجني إلا على نفسه.

وقد كان المرء يظن أن قواعد الخير فيهم ستدفعهم إلى البراءة من المهادنة وإظهار الحق أبلجاً لكن بريق السلطة وحب الدنيا أنزلهم إلى كشف العوار أكثر وأكثر، وهذا هو شأن الابتلاء فإما أن يبوء المرء إلى جانب الحق وإما إلى جانب الباطل، والذي وقع من هؤلاء هو الهوان والذلة وفساد الاختيار، وهي تجربةٌ تهدي كُلَّ منصفٍ إلى صواب طوائف الجهاد في أخذهم دين الله كما أمر من البراءة من سبيل المجرمين وإعلان حكم الله تعالى جلياً في واقع الناس، والتمايز بالحق والأحكام، كما أنها تُبَيِّن أن طريق التمكين لا يمر إلا بشوكة النكاية من تنظيف الطريق من كل هؤلاء الأخباث والأنجاس من عملاء الغرب الناقمين على أهل الإيمان الكارهين لكل فضيلة، فهؤلاء وإن كانوا أقل وأخس عدداً إلا أن صوتهم بسبب الدعم المالي لهم يُحدثُ ضجيجاً، والجاهلون من أهل العمل السياسي الإسلامي يقيمون لهم شأناً بسبب هذا الضجيج، والسبيل الوحيد الصالح معهم هو قوله تعالى: ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾، وهذا لم يهتد إليه إلا طوائف الجهاد بحمد الله تعالى، فهذه فترةٌ كشفت عوار الدخول إلى الحق مع الباطل، وخلط الهداية مع الضلال وهذا مانع التوفيق الإلهي، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾

ويقول ﷻ: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾

وقال تعالى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾

وقال جلَّ في عُلاه: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۝ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾، وهذه الآيات وأمثالها كان أهل السياسة الجاهلية من أهل الإسلام يُسَمون حامليها أهل «التكلس الفكري والسياسي» فهاهم الآن ماعوا ولم يَتَصلَّبوا، وخاضوا غمار التآلف مع الباطل، والتحالف مع أحزاب الشرك والكفر والزنادقة؛ فماذا كان منهم؟

ولقد كانوا يزعمون من قبل أن المشكلة والإعاقة في الناس والشعوب، وأما هم؛ فهم أهل إرادات عالية، فجاءت هذه الفترة لتكشف عكس ما ادّعوه وصحَّ منهم المَثَل: «اقلب تصب»، فإن الناس والشعوب المسلمة لم ترضىٰ هذا السبيل الأعوج، وأعطتهم القيادة من أجل حمل الحق بالقوة، وباسم الإسلام العظيم رضوا قيادة هذه الطوائف، لكنهم خانوا وجبنوا حتى يحفظوا مصالح أحزابهم ببقاء السلطة في أيديهم، وإن كل ما قاموا به هو لإطالة الأمد في دوام حكمهم، فعاجلهم الله بغير مقاصدهم بأن سَلَّطَ عليهم أحلافهم وشركاءهم، وهذا شأن من يُرضي الناس بسخط الله تعالى والمرء وإن كان حزيناً أن يصيروا إلى هذا المَهيَع والعاقبة، لكنها السُنن التي لا تحابي أحداً، فإن الله تعالى جلَّ في علاه يُحبُّ التمايزَ وإقامة الحُجّة حتى بإزهاق النفوس والأرواح، فهؤلاء لم يُعَرّفوا الناس دين الله في التشريع والسياسة ولا عرَّفوا الأُمَّة وجه الحق في قضايا الحياة التي ملكوها، بل كانوا يتخبطون في أفعالهم وقراراتهم، ولو نظروا إلى عين الله فقط وشغلوا أنفسهم برضاه حتى بسخط الزنادقة والعَلمانيين لكان لهم شأنٌ في هذه الفترة التي ملّكهم الله بها شؤون الناس، وإن كاتب هذه الورقات ليعترف أن تقييمه في هؤلاء الناس كان مخطئاً، مع أن نماذجهم السابقة لا تدل إلا على ما وقع منهم من الإنحراف والجهل وترك الهدى كما وقع من حركة حماس في حُكمها لقطاع غزة مع أن أساس قيام هذا الجناح في فلسطين أساسٌ جهادي، لكن لما كانت جرثومة الإنحراف ساريةٌ في الأصل فإنها عقرتهم وأوردتهم شرعة الباطل، فإنهم حكموا القطاع بعطاءٍ إلهي دون منَّة من أحد، ودون استحقاقات باطلة من العقود والمعاهدات لكنهم أَنِفوا واستَعلوّا عن الحق، فلم يُعلنوها على وجه الحق الذي يحبه الله تعالى من إقامة الشرع والدين، والله يقول لنا ولهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، فكل دعوى الانتساب للحق لا قيمة لها في ميزان الحق وعين الله تعالى، والاعتبار الوحيد هو إقامة الدين وتحقيق الهُدى في الناس وأحوالهم، والمنصف يقارن بين أئمة الهدى من طالبان في أفغانستان الذين يستهزئُ بهم هؤلاء السياسيون، وبين هؤلاء الزاعمين بمُلك ناصية حكمة السياسة؛ فمن أهدى سبيلاً من استهزأ وتبرأ من إعلان إمارة إسلامية تقيم الشرع أم هؤلاء الذين مازالوا يصرخون ليل نهار أن من نهجهم وشرعتهم الدخول في منظمة ردّة اسمها منظمة التحرير ولا يمنعهم إلا رتوشٌ سياسيةٌ تحقق لهم المكاسب لحزبهم وأدوارهم فيه، وأساس الشر عند هؤلاء القوم هو عزل القرآن وهدايته عن اختياراتهم، ولو تحدث معهم متحدثٌ على هذا الوجه لاستهزؤوا به، لأنهم لا يعتقدون أن القرآن يضبط السلوك السياسي إلا بمجرد الشعار فقط دون الدخول في التفاصيل ولذلك فإن الذكرى الوحيدة الباقية من بطولاتهم في فترة حكمهم هو

شجاعتهم وإقدامهم في قتل المصلين في مسجد ابن تيمية، وقد صدق القائل لهم: "لو كان هؤلاء في حسينيةٍ رافضية ما جرؤوا عليهم." خاصةً أن القوم يومها لهم مددٌ من دولة المجوس في إيران.

فخاتمة تجربة هؤلاء الناس هو الخذلان، ورفع الهداية عنهم في حمل الحق الذي يحبه الله تعالى منهم، وخيانة الأمانة التي حملها الناس لهم، وهي تجربةٌ تهدي أهل الحق أن عاقبة الحق وحمله فيها المشقة والبلاء لكن العاقبة الإيمانية هي القصد حتى لو كانت الشهادة، لأنها هي التي تقيم الحجة الالهية، وهي التي يحصل بها التمايز في الخلق، فإن الاختلاط لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه للناس، وهي تهديهم أن البدع قد تبدو سهلةً يسيرة في أولها لكن الله تعالى يقيم لهؤلاء من البلاء ما يكشف بهم حقائق قلوبهم ، فإن طوائف العمل السياسي على غير هُدى الشرع والدين كانت الأعذارلهم أنهم مستضعفون، وكانت حجتهم تسري على هذا المعنى، ولكن الله تعالى أكذبهم فيما حصل لهم من التمكين فإنهم بذلوا الوسع في إرضاء الخلق على حساب حق الله تعالى ودينه وكان شأنهم الرعاية لأحزابهم دون الدين الجامع لأخوَّة الإسلام مع غيرهم وكانوا أقرب إلى إرضاء أعداء الدين من الزنادقة العلمانيين من إرضاء والاجتماع مع أهل الإسلام، وهم على هذه الشرعة إلى يومنا هذا في تونس وغيرها وكأن القوم أقسموا بالأيّمان أن يُقيموا الباطل لا الحق ما استطاعوا سبيلاً، ومن أعجب ما هم عليه ظنهم أن ما يقع بهم من البلاء هو امتحانٌ رباني لا عقوبةً إلهية على جهلهم وفساد منهجهم، وهذا إن كان على معنى محتمل فيما وقع لهم زمن الاستضعاف لكن تفسير البلاء والعذاب اليوم على هذا المعنى هو الجهل المُركّبُ والضلال البعيد، وإن إمامتهم على نفس السبيل من عدم البراءة من المشركين؛ زنادقةً وعَلمانيين، وعدم تسميتهم بأسمائهم الشرعية، وعدم رفعهم راية الجهاد ضدهم لهو من أعظم الأدلة على عدم رجوعهم إلى الحق البيِّن الجليّ.

ثم إن من نتائج هذه الفترة القصيرة في زمنها، لكنها الغنية في معانيها كشفُ زيف الشعارات الخادعة كالسلفية، فإن ما وقع به أتباع هذا الشعار في مصر خاصةً لهو أكبر دليلٍ أن مآل هذه الشعارات هو الخداع والانحراف، فالنسبة لا تصنع حقاً كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾، فهؤلاء أبناء الأنبياء صاروا إلى ما ذكر الله تعالى، وإن هؤلاء الزاعمين النسب للسلف الصالح هم أسوأ خَلَف، وإن أكثر من يرفع هذا الشعار اليوم هم أهل جهلٍ وضلالٍ وانحراف، وما هي إلا شعاراتٌ لسرقة قلوب الناس بل وجيوبهم، وحالهم كحال مشايخ التصوف اليوم، فينتسبون للفقراء والزُّهَّاد وهم أهل جَشَعٍ وبهيمية، وليسوا من الزهد والدين في شيء، وكذلك هؤلاء الزاعمون النسبة للسلف، يلوكون شعاراتهم وكلماتهم ، وسيماهم سيما البهائم الواغلة في الباطل وحُبِّ الدنيا حتى صاروا أولياء الطاغوت في كل موطنٍ من حلقات الرِدّة، يدرؤون عنهم فعل الهداة المجاهدين، وقد بان شَرُّهُم على وجهه الصريح في مصر الكنانة، حيث داروا على وفق رسوم الجاهلية وأحزابها ورجالها، هذا إن كان أمرهم بأيديهم لا بيد دولة الخبث الراعية لعدوة أهل الباطل ممن ترفع شعار السلف

والسلفية بخبثٍ ودهاء، وهي تجربةٌ وفترةٌ أثبتت أن هذا الشعار «السلفية» لا مدلول له في العمل السياسي، بل هو من دخان الباطل الذي يستر جهالات اجتهاد المُتسمّين والمُتسترين به، ومن راقب اختياراتهم من الابتداء إلى يومنا هذا لم يرها إلا على وجهين اثنين: عمالةٌ للغير لارتباط مصادر تمويلهم من هذا الغير...

وثانيهما: تقليد سابقين على وجه تقليد الغراب، والمقصود بالسابقين هم طوائف العمل السياسي الأقدم في هذا المجال، ولقد دفعتهم الخصومة الحزبية إلى اختيار الجاهلية الجلية والإنحياز إليها في بعضِ المعارك والجولات، والمُهتدي بشرع ربه يأنَف من نسبة كل هذه الاختيارات والرُذي إلى مسمى السلف الصالح، وإن من الدين، لو كان هؤلاء يهتدون بهديه ويأتمرون بأمره لتركوا هذا الشعار إحساناً إليه أن لا يُنسَبَ باطلهم له.

وتجربة هؤلاء لا تُثبت صواب إخوانهم من أهل هذا الشعار بهجر العمل السياسي كما يزعمون، وكما أفتى لهم كبراء أمراءهم وفَتوهم من قبل، فإن هؤلاء تركوا العمل السياسي على صورة المعارض، وأما موالاة الطواغيت والدفاع عنهم، ومحاربة خصومهم فهم أئمته ورجاله، فالسياسة المُنكَرَةُ عندهم هي المعارضة وأما الموالاة فشأنهم فيها الولوج والأولوية، ولو فرغوا إلى ما زعموا من العلم والاشتغال به دون إتيان الفتاوى الباطلة لما عيب عليهم إلا كما عيب على مثل ما يُعاب على جماعة التبليغ فقط، وليت مقامهم في الواقع كمقامهم فإنهم أهدى وأقرب سبيلاً، فإن ترك بعض الحق أولى من إتيان الباطل الصريح.

وإن مما يهتدي به أهل الحق الاعتبار بغيرهم وعدم الإغترار بالشعار ولا بالأجداد ولا الآباء ولا بالانتساب، فإن هذه لا توصل إلى المراد ولا تدفع الأذى ولا المكروه، وإن مما كشفته المرحلة جهالات المفتين ممن هجروا السياسة والتفرغ للعلم في المرحلة السابقة حتى إذا جاؤوا إليها خدعتهم الظواهر، فأتوا بالكلمات والفتاوى المنكرة حتى أولئك الذين ناصروا الجهاد في سورية الشام المباركة، فإن الأهواء مازالت في عروقهم من عداوة طوائف الجهاد، ومع أن هؤلاء كانوا لا يرون الجهاد الشرعي إلا جهاد الرجال بزوجاتهم كما كان يصرخ بهذا بعضهم حتى إذا رأوا إقبال الأُمَّة على هذا الطريق المبارك جلسوا على حافته يصدون عن سبيل الله بتنفير الناس عن أئمته ورجاله وحَمَلَته المعروفين به، والأصل في هؤلاء أن يتوبوا إلى الله تعالى من جهالاتهم السابقة، وأول هذا الطريق الاعتراف بالخطأ، وحالهم كحال أعوان الطواغيت لما سقطت آلهتهم ذهبوا يزعمون إمامة التغيير والثورة، وهؤلاء وإن كان يَمدح فيهم بعض الخير أنهم ساروا مع الجهاد جملةً، إلا أن الواجب على أهل الحق الحذر منهم، وعدم المسارعة فيهم خاصةً من له سوابق في إفساد مواطن جهادية ماضية في أفغانستان والعراق فإن عرق الهوى في هؤلاء نزّاع وقويّ، والقليل منهم من يتحرك على جهة الاستقلال، بل حاله كحال الآلة لا يتحرَّك إلا بوضع القطع النقدية فيه، ويزعق على وفق ما يُلقى فيه ويُرمى، والتعامل مع هؤلاء يكون على وفق الحكمة، ويترك أمر كشفهم إلى الأقدار التي يقيمها الله تعالى فاضحةً للناس عما في قلوبهم، وهي اليوم بفضل الله تعالى كثيرةٌ ومتسارعة وكلها تسوق الناس إلى أمرٍ خير يريده الله تعالى لهذه الأُمَّة إن شاء جلَّ في عُلاه، وذلك بتعرية الناس على وفق ما في

قلوبهم من الدين والتقوى والعلم والهدى، وعلى درب هؤلاء بعض من كان منكراً بكل عمل ليسوس الناس ويُعَمهم عن قضايا حياتهم وله انشغالٌ بالكتاب وشؤونه، فإنهم ما كادوا يخوضون في غمار هذا المعترك اللجج حتى ضعفت نفوسهم عن تحمل تبعاته، فأظهروا الندم على هذا الخوض، وعادوا إلى ما هم فيه فهؤلاء أمرهم هيِّن مالم يقولوا الباطل من مَنعِ الدخول في هذا الباب الذي يُظهر الدين في حياة الناس وشؤونهم، فضعف نفوسهم عن التحمل هو مظهر ضعف للإرادات لا علامة تقوى ودين كما يريد البعض تفسيره، فإن الذي يعاشر الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من الذي لا يعاشر الناس ولا يصبر على أذاهم، والدين والكتاب ليس لخاصة هؤلاء بل هو للناس وشؤونهم وسياسة أمرهم، وفشل هؤلاء في تحمل التبعات والإحاطة به لا يكون دليلاً عند البعض ممن رفع شعار «ترك السياسة من السياسة» فإن هؤلاء على الحقيقة قد تركوا الدين وشرائعه تحت مسمى «ترك السياسة» فإن القيام بشؤون الخلق وفق الشرع من مهمات هذا الدين كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وترك الشرع في هذا الباب من الكفر المبين كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾، لكن لما كان البعض ضعيفاً عن تحمل تبعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذهبوا يذمونه ويُشَرّعونَ النُكولَ عنه ثم إن الخوض بالباطل في هذا السبيل ليس حُجَّةً في تركه بالكلية، بل الواجب العمل فيه بطاعة الله تعالى.

ومثل هؤلاء من احتجَّ من مشايخ الضلال وعلى "وفقهم" زنادقة إقرار الواقع الجاهلي أن الخروج على الطواغيت لم يورث الأفضل، وذلك دعوةً منهم أن بقاء الطواغيت خيرٌ من إزالتهم، لما رأوا من آثار الإذهاب من التفرق والفتن، وهؤلاء لا يفهمون دين الله تعالى، ولا سُنن التغيير، فإن الناس كانوا مُجمعين على الباطل تحت حكم الطاغوت، وعلى ملة واحدة تحت ظلمه وشركه وطغيانه، وحالهم حال الدواب من السكون والصبر على الهوان كما ضرب الله ذلك على بني إسرائيل بقوله: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ والناس في التاريخ يجتمعون على الباطل، ولا يحصل الافتراق إلا بطروء الحق كما قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾، فالأمنُ المزعوم قبل سقوط الطواغيت هو أمن العبد الخانع الذليل، والاجتماع يومها كان الركون إلى الباطل، والناس اليوم في دينهم وعِزَّتِهم خيرٌ من ألف حالٍ كانوا عليه قبل ذلك، وهذا الميزان هو ميزان الإيمان والعِزَّة، لا ميزان ذلة وصبر الدواب من السكون والخنوع والجُبن، ثم من قرأ التاريخ يعلم أن بداية انطلاق الأمم نحو مقاصدها لا يكون إلا بمثل هذا الحراك الذي يُمَيِّزُ الناس ويفتنهم، ولم يحصل قط أن صارت الأمم إلى الاتحاد والحضور الوجودي إلا بعد خصومةٍ داخليةٍ وقتال، يعرف هذا كل خبيرٍ دارس، وأما تصور التغيير إلى الأفضل، ووضع الأمم على سكة الإنطلاق نحوه بدون الثمن والتبعة فلا وجود له فيما أعلم إلا تحت عمائم مشايخ الوعظ أو في عقول قادة العمل السياسي الإسلامي من حملة الأحلام الوردية الجميلة والتي هي مجرد أحلامٍ وأوهام، ولذلك يخافون التغيير خوفاً من المجهول، ويرتعدون من الدماء مع أن خصومهم لا يصلون إلى مقاصدهم إلا على دمائهم هم.

ولا يبكي الذاهبَ من المجرمين الطواغيت إلا وليّه ومن كان يقتات على قيئه ودنسه، وأما الحديث عن الدماء والدمار في مواطن الجهاد كما في سورية الشام فسيأتي الحديث عنه بعد إن شاء الله تعالى.

وجملة القول في هذا الأمر أن كل الطرق إلى عِزَّة الدنيا والآخرة لا تكون إلا باتباع طريق الرسول ﷺ والاهتداء بالقرآن ومنهجه، فاستحقاقات طرق الباطل موصلةٌ للهلاك والبوار وسوء العاقبة، ومن لم يؤمن بذلك على الغيب، فإن الشهادة اليوم تثبت هذا واقعاً حتى العصاة والمعرضين، وهذا لا يعني أبداً أن ثمة رجاء بمن أشرب في قلبه طُرَقَ الباطل أن يَعي أو يرتدع، بل تاريخ أجدادهم وواقعهم يثبت أنهم كحال الغارق في الرمل لا يزداد إلا ذهاباً فيه حتى يقتله، كما أن هذه الفترة أثبتت أن العلَّة فينا، في مشايخ الخطب المنمقة التي لا تمت إلى الواقع بصلة، وفي القادة السياسيين الذاهبين عن هدي القرآن ومنهجه في العمل والسلوك وقد كان الناس يشكون قديماً الموانع والعوارض الخارجية، فها هي الأُمَّة ألقت بزمامها إليهم، فهل كان ثمة التفات إليها، أم الألحاظ ملقية وجهها إلى الأغيار من أعداء الأُمَّة؟ وهل استمع هؤلاء إلى صوت الأُمَّة التي أوصلتهم إلى التمكين؟ أم أن جُلَّ همهم إرضاء الزنادقة والعَلمانيين والمزايدة عليهم أنهم أهل الديمقراطية الحقة؟ إن فاتورة حساب هؤلاء تدين أفعال أيديهم، وكل محاولات حرف هذا المعنى من تحميل الخصوم العلل هو من سبيل الشيطان الذي يمنع التوبة والإنابة والعودة إلى طريق الحق.

ثم إن هذه الفترة أثبتت أن الأُمَّة خالية من القيادة إلا من ألئك الفتية الذين يقودون أعمال الجهاد هنا وهناك، نعم، خاليةٌ من القيادات السياسية الراشدة المهدية وخاليةٌ من الراسخين في العلم بسبل الحياة وسننها، بل إن الواقع أثبت أن من زعم الفهم والوعي هو من أجهل خلق الله بسبل المجرمين، فإن هذه التحالفات معهم، والركون إليهم، ليدل بجلاء أن القوم نَوْكَى بامتياز، ولا يستحقون أبداً الدخول في زمرة أهل العِزَّة والتمكين، ولا يعتذر لهم إلا جاهلٌ بتاريخهم فإن نهجهم هوَ هوَ؛ أي الميلُ إلى الظَلَمَة والمجرمين، والإعراض عن إخوانهم، وإلا فبماذا تفسر هذا اللين والرفق من حماس مع منظمات الزندقة والكفرالفلسطينية، وتوجيه السلاح وقتل إخوانهم في الدين؛ فهل هؤلاء هم أهل النصر والتمكين لدين الله تعالى؟ وهل هذه التربية السارية فيهم في كل البلاد تحقق الهداية والرشد؟

تأمَّل حال طارق الهاشمي في العراق وعبد الرسول سيّاف في أفغانستان وقبلهم النحناح في الجزائر ومن هو على شاكلتهم مع الجهل الفاضح والوقاحة المتناهية عبد الإله بن كيران في المغرب، تعرف أن الحال واحد، بل لو رصدت الصورة أكثر لرأيت كيف ينقلب بعض من حالات هذه التربية على اخوانهم في الحزب إن دُفع لهم بعض

المراتب والمزايا حتى يصيروا أعداء الرفاق بالأمس، وهي تجربةٌ بدأت بالباقوري ولن تنتهي بكمال الهلباوي، فإن علمت هذا أيقنت أن الشيء من معدنه لا يستغرب.

ولقد أرادوا وحدةً وطنية لا إيمان فيها ، ولا تحكيمٌ لشرع الله تعالى، فحُرِموا التوفيق والسداد، ولو اعتصموا بحبل الله تعالى لكان لعهد الله تعالى لمثل هذا الأمر شأن آخر يعلمه أهل الإيمان وتبسطه قصص القرآن. أما أهل الشعارات البراقة السلفية، فلقد تبين للمنصف أنها مجرد ستائر رقيقة لا تنفع إلا للخداع، فالناس لهم شأن فيما مضى بيانه من كلام السابقين المهديين، أما إدراك هداية الله تعالى للوقائع والنوازل الحاضرة فليس إلا الضلال كغيرهم من الناس، فالشعارات لا تُنجي أصحابها من الانحراف، ولا أدري كيف تقبل الأُمَّة الانخداع بالشعارات في العمل السياسي والجهادي. فهل كان لأصحاب هذا الشعار تميزٌ عن غيرهم في غمرات المحن التي أَلَمَّت بالأُمَّة أم أن الكل في سبيلٍ واحد؟

لقد ذهبت دعوى إتهام الخصوم أنهم أهل تميُّعٍ وعدم إهتمامٍ بالتربية والتنازل عن المبادئ، إذ صار هؤلاء أكثر تميُّعاً، بل مالوا للباطل الصريح دون المختلط به مع غيره، بل أصابهم من التنازع على المناصب ما أصاب غيرهم، وذهب فقه الموازنة بين الحسنة والسيئة إلى الركون إلى السيئة بكل ضلالها وفسادها، وإن بعض العلامات تدل أن هؤلاء مجرد بيادق بيد غيرهم يصرخون على الجهة التي يذهبون اليها، أما مشايخ الوعظ وهم كثر، بل لا أظن أن زمناً في التاريخ الإسلامي مضى وفيه هذه الكثرة، فقد تبين للمبصر أن المخلص منهم غير مهتدي، لا يدري ما يقول عند احتلال الظلم، وأما الكثير منهم فهم أهل راتبٍ ووظيفة، يبكون ويصرخون عند الإذن، ويسكتون عند المنع، ولا يغرنك بكاؤهم اليوم على جرائم الأسد في سورية، فإن بكاءهم مأذونٌ فيه، ولو كانوا على دينٍ يدفع لهذا لبكوا أكثر على جرائم الأمريكان في العراق وأفغانستان، لكنها الأُذون التي يقتادون بأمرها، وإن بعضهم الذي يحسن فن الكلام في جانب هو من أثر الإسلام لا من صلبه، لما جاء الأمر إلى حقيقة التوحيد وذهب مذهب أهل الجاهلية الصريحة، مع أن أمثاله قبل أيام من سقوط الطاغوت كان معه بقده وقديده، نعوذ بالله من الخذلان، ومن كان كذلك فماذا يرجى منه من الهداية في مضايق الطرق ومشاقها؟

وعلى كلِّ حال فهذا شأن من صحا من نومه بعد سبات طويل، أو شأن من جرى على منوال البدعة ولم يُعد دراسة الحق ليأوب إليه بعد هجرانه.

هذه الصورة ليست إلا نموذج متكرر في سنن الابتلاء كما قال تعالى على لسان موسى عليه السلام لقومه: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ وإن من نعم الله تعالى على الخلق أن يعاقبهم في الدنيا لتحصل الهداية لمن صدق معه واتَّبع السبل السُنَنيّة في الوصول إليها، ولو لم يقع كل هذا لصرخ أصحاب الجهالات أن طُرَق الباطل موصلةٌ لعزَّة الحق، وإن من أعظم ما يحبه الله تعالى ويرضاه هو جلاء الجُبن بلا خفاء، وتميُّزه عن الباطل بلا اختلاط، لأن هذا ما يحقق الشهادة والحُجّة على الخلق، ومع أن المرء كان من أمانيه أن يدوم تمكين أهل البدع لا لحقٍ هم يقيمون عليه، بل لظنه الحسن فيهم أن لهم من الإرادات ما ينصرون به الدين، لكنها ظنونٌ لا تمت إلى واقعهم بصلة، فما ازداد القوم إلا جهالةً، فذهابهم خيرٌ لدينهم ودين الناس في العاقبة، لما سيفزع الناس بعد ذلك إلى سلوك طريق الحق من التمايز عن الزنادقة والكافرين، وإلى معرفة الكفر على حقيقته، فإن جهالات أهل الإسلام تقبل بمجاورتهم لكنهم هم لا يقبلون بهذه المجاورة، وليس لهؤلاء إلا قوله تعالى: ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾ والآمر بذلك وهو الله تعالى يعلم حقائق خصوم الحق أكثر من هؤلاء المُتهَوّكين الجهلة، كما أن الصادق من هؤلاء، إن كان فيهم مُنصف ومُعتَبِر سيجد أن السبيل الوحيد هو جهاد طوائف الردّة كما هو سبيل أهل الحق منذ زمن.

مقابل هذه الصورة من قتامة الباطل والبدعة، ومن مآلاتهما السُنَنيّة التي لا تتحول ولا تتبدل نجد عصبة الحق والهدى ممن بَشَّرَ النبي ﷺ بدوامها على مر الأزمان وتفرق الأحوال، بقوله الشريف: ((لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق لا يضرها من خذلها ولا من خالفها)) تقوم بما أوجب الله تعالى على الأنبياء وأتباعهم من التزام الحق والاهتداء به، وعدم المَحيد عنه مع كل التكاليف والمشاق التي توجب الصبر كما قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾، فهذان أمران جليلان للحبيب المصطفى وللسائرين على دربه القويم؛ الإتبّاع والصبر، وأمر الإتبّاع موجهٌ إلى أحكم الخلق وأهدى القلوب وأطهر النفوس؛ يعني رسول الله ﷺ، إذ لم يترك له أمرالطريق ليجتهد فيه أو يُعمل فيه رأيه، وهو القائل له جلَّ في علاه: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ وكذلك: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ وهو في ذلك يقصد تقريب القلوب الصادة المُعرضة إلى الحق فيما يجتهد ويرى لما يعلم الله تعالى من قلبه في قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ وقوله: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ فهذا الحرص النبوي على الخلق بأن يتبعوا الحق ويهتدوا به لم يكن ليُجيز له أن يميل إلى طرقهم أو أن يتنازل عن قيمةٍ واحدةٍ من قيم أهل الحق، وعدّ هذا من المهادنة السيئة التي يحرم ممارستها.

لقد كان من أبجديات الدعوة النبوية ومنذ بداية سطورها تأهيل المؤمن لصياغة العالم كله على قيم الإيمان دون قيم الجاهلية، وهذا لا يتأتى إلا بقطع حبال الجاهلية كلها، صغيرها وكبيرها، فكيف بالتوحيد ومسائله العظمى التي

يداهن بها هؤلاء المتهوكون هذه الأيام؟ وإن من هداية الإيمان لأهله لتحقيق قيادة العالم كله حصول التمايز عن الباطل وهجره ومعاداته وكشف ضلاله، وهذا مما يصنع الخصومة بين الفريقين، ويؤجج العداوة التي تحقق الصدام والقتال فتكون العاقبة للإيمان، وهي عاقبة إن حصلت؛ وحصولها وعدٌ إلهي تجعل نسبة نعمة التمكين فضلاً إلهياً لا دخل للبشر فيه حتى القائمين عليه من أهله، وهو ما قاله الحبيب المصطفى ﷺ بقوله: ((وهزم الأحزاب وحدَه)) فهذه طريقٌ شاقّة، لكنها مستقيمةٌ وموصِلة، والطرق لا تُحمَد إلا بهذا المعنى، أي أنها حقٌّ في ذاتها وموصِلةٌ لمقاصد أهلها، وما ضلال أهل البدع إلا في الغفلة والإعراض عن هذا المعنى، وما صنائع طائفة الحق مع ما يلاقونه إلا التزاماً بهذا الطريق الذي امتلأ بالشهداء والبذل والعطاء لكنه صار إلى نعمة ما حلم بها أهلها قط حتى في مناماتهم، ولقد كانت الوعود بالوصول إلى الأرض المباركة ليتحقق الجهاد على أطرافها تأهيلاً لولوجها إن شاء الله تعالى غيباً مخفياً، يعيشه المجاهدون في كل المواطن السابقة أملاً يداعب أرواحهم وعقولهم، ولقد كانوا يقفون من الوعود موقف التسليم والتصديق دون إدراك كيفيتها، ولا كيف ستؤول هذه المواطن إلى قطرات تتسارعُ ثم تتجمع فتأوي إلى عقر دار الإسلام بلاد الشام وهذا شأن الإيمان بالغيب كله، ثم تسير الأقدار سيرها السُنَني المربوط بيد الله تعالى حتى تقع برحمة الله ولطفه،

ومن تأمل قصة يوسف عليه السلام فإنه سيرى أن جماع تلك القصة الربانية الجليلة هو ما افتتحت به بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ يقولها الله تعالى في بداية السير نحو الوعد بكماله، فإن الله تعالى لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وما يقع من الأقدار الغالبة للمبتلي في أول الطريق لا تعني عجز الناصر الوكيل، لكنها المحن التي تقع على اليقين ليرقى أو ينتكس، فالله غالب على أمره، حتى ووليه وصفيه ومجتباه في الضعف والقيد والأسر، وما يقع له ليس بغير إذنه القدري جل في علاه، ولذلك كانت المقدمة ليوسف عليه السلام مع البلاء والضعف والأسر والدخول في معنى البضاعة التي تباع وتشترى هي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾، ثم لما كانت العاقبة التي سرت على وجه خفي لا يعرف الناس منها إلا الظواهر كان قول يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾، فمراد الرب في العبيد يجري على وجه اللطف الذي لا يدرك يد الله منها إلا أهل الفكرة التي قال الله فيهم: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وأما غيرهم فهم دواب وبهائم لا ينظرون إلا إلى الظواهر كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، ولذلك سرت أقدار الله وكأن شأنها أبعد ما يكون عن ارتباطها بيوسف عليه السلام، ثم جرى من مرحلة إلى مرحلة، أدرك يوسف عليه السلام سر خفائها لقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾، وهاتان الآيتان هما حدّ قصة هذا النبي العظيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم.

وهذا القدر الإلهي في الخفاء والارتقاء صعداً حتى تتحقق الوعود الإلهية جرى مع أهل الجهاد على وجهٍ لا يدرك سره إلا من عاش الظروف، وكان منذ بدايتها يرجوهذه العاقبة العظيمة بوصول مقاماته إلى هذا المستوى المحبوب

لدى كل عاملٍ بحق لدين الله تعالى، ولقد كان أهل الجهاد والبصيرة يرون أن كل حجرٍ ولَبنةً تُبنى في شأن الجهاد سيصل مستقرها إلى عقر دار الإسلام وزوال دولة يهود كما أخبر النبي ﷺ: ((لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود))، وكذلك خبره بوجود أجنادٍ في اليمن والشام والعراق، مع توصيته بالشام واليمن، فكل هذا كان أملاً ترنو إليه النفوس والقلوب حتى وهم في أفغانستان والشيشان والبوسنة والصومال واليمن وغيرها من مواطن البلاء.

لقد ابتلي أهل الجهاد بعد الشأن العظيم في أفغانستان وذهاب الإمارة الإسلامية المُمَكّنة من طالبان، ولقد وقع الحزن في النفوس حتى إن بعض ضعاف النفوس ذهبوا مذاهب الباطل في تغيير المنهج والطريق، حتى صالح بعضهم الطواغيت كما فعل في ليبيا، بل غار بعضهم في الشر حتى ارتدوا عن دين الله وصاروامن أزلام الطواغيت، كل ذلك يأساً من تلك الفتنة العظمى، ثم كانت العراق حيث عاد الأمل للنفوس، ونفرت كتئب الإيمان إلى مواقع الجهاد الرباني هناك، فأثخنوا فيهم أيما إثخان، ورحم الله إمام تلك المرحلة الشيخ المجاهد أبا مصعبٍ الزرقاوي، فإن هذا الرجل صنع ملحمةً إيمانيةً، لو أنصف الناس فيها لقالوا فيها ما قيل في أمثاله من أبطال الإسلام كصلاح الدين ونور الدين زنكي وألب أرسلان وغيرهم من الماضين من حملة هذا الدين وأهل الجهاد فيه.

ثم كان ما كان حتى خيل للكفر أن شأن الجهاد إلى زوال، وأنّ القادة من أهله قد أفضوا إلى خالقهم شهادة في سبيل الله تعالى ولأول مرة في تاريخ التدافع الإنساني يُجمع البشر على قتال طائفةٍ لا تجد مأوىً تأوي إليه، ولقد تمالأ الكفر بكل أشكاله على حرب هذه الطائفة المباركة، لكن يد الله غالبة، وحكمته في الخلق نافذة، وكان قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ قد آذن ضياؤها بالبلج، فكان هذا الجهاد المبارك الميمون الذي نفر إليه المسلمون في المشرق والمغرب، وكأن يداً خفية تؤزهم بالخيرإليه، وهذا من فضل الله تعالى ورحمته وعنايته الراعية لدينه وأهل دينه وطائفة الحق المنصورة، ومن تأمل حال الجماعات الأخرى يرى أن قمة ما وصلت إليه وهو الوصول إلى الرئاسة قد آلَ بها إلى ما هو واقع، وأما جماعات الجهاد فإنّها تسير إلى مستقرها إن شاء الله بالنصر والتمكين من خلال تنظيف كل معوقات تحقيق قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾
وواقع الأمر أنّ هذه الآية لا يمكن تحقيقها إلّا من خلال طريق الجهاد الذي لن يصل إلى منتهاه في إزالة الطواغيت حتى تزول كل مواتع تحقيق حكم الله تعالى في الأرض، وهذا كان لمن عقل منهم وفهم دين الله تعالى على وجهه الذي أرشد إليه في كتابه وسُنّة رسوله ﷺ.

وإن من دلائل الحق في هداية هذه الطائفة لأرشَد أمرها أنّهم هم من يرتقون صعداً من حالٍ إلى حال بخلاف غيرهم ممّن لا تزيد حركته إلّا انسياباً في الرمل إلى الأسفل لا إلى الأعلى وهُم هُم دون غيرهم من يحصل بهم النكاية في أعداء الله تعالى، وهذا ما نراه في حلقات الردّة الأخيرة المحيطة بالأرض المباركة – بيت المقدس – فإنّهم بفضل الله تعالى هم مُسَعّروا هذا الجهاد، وهم أئمته وقادته، والناس حين يَترك لهم سبيل الاختيار الذي يحقق النصر من الجهاد والصبر لا يعقدون ألوية العهد إلّا مع هذه الطائفة، لعلمهم اليقيني أنّهم أهل الصدق والبلاء دون غيرهم ممن لا يسيرون في هذه الطريق إلا من أجل مقاصد لا تؤدي إلى تحكيم الشريعة، هذا من الأمر بيّن ومُعلن لا يخفون سراً، فإن المرء لا يُقبِلُ للجهاد، ولا يُقَدّمُ روحه باذلاً إياها لتحكمه شريعة الشيطان والشرق والغرب، وأهل الإسلام يعلمون أنّ من مات تحت رايةٍ عُمّية مات ميتةً جاهلية، فكيف يبذلون أرواحهم لدعاة العَلمانية والديمقراطية والحكم الجاهلي الشركي؟

فمظاهر بركة الله المُظَلِّلَة لهذا الجهاد كثيرةٌ بفضل الله تعالى، وعامة المسلمين يحسّون أن هذا الجهاد لن ينتهي شأنه إلّا بتحقيق الوعود، وإن المرء إن خلا لنفسه ظن أن هذا مجرد إحساسٍ شخصي يعتريه دون الناس، لكن ما إن يحاور غيره حتى يجد أن هذا المعنى شائعٌ في العموم ممن لهم عنايةٌ بنصرة هذا الدين والإقدام إلى مواطن الدين والجهاد، فالكلُّ يلهج أنه سيسير سيره الرباني حتى تُعلّق رؤوس الطواغيت حبّات خَرزٍ على قباب مساجد بيت المقدس بإذن الله تعالى، فهذه الفِطرُ تتفق على أمرٍ في العامة والخاصة، يعلمه كل من يُنَقِّبُ عنه ويسعى لمعرفته. ومن دلائل هذا المعنى أنّ هذا الجهاد كشف كل الطواغيت وأعوانهم، فجمعهم في صعيدٍ واحدٍ ضده، والغرب المجرم وإن صُفِقَ له في البدايات وكذا أحذيتهم من طواغيت العرب إلّا أن التآمر بدأ يذر بقرنه، لا يخافون فيه طاغوت سورية، لكن يخافون المجاهدين ضده هناك، ولقد حاول هؤلاء منذ بداية الجهاد أن يسقط النظام كتلةً واحدةً ليَسهُل قيادته على وفق هياكل و دين الجاهلية، ولكن القدر الإلهي سار على غير مرادهم، ومع ما يرى الناس من الألم بعدم وجود النصير، وبكثرة القتل والدماء الذي يحدثه الطاغوت وأعوانه، إلا أن واقع الحال أن الزمن كان عامل خيرٍ لمآل هذا الجهاد، فقد بسط المجاهدون سيطرتهم، وأخذوا جندهم، وقويت شوكتهم على صفات في ذلك كما سيأتي التنبيه عليه إن شاء الله تعالى، ثم إنه قد علم أن تمكين طوائف البدعة لا يوصل إلى الوعود لأنه تمكينٌ صوري لا قوّة فيه، وإذا كان كذلك فهل يستطيع المخلص منهم أن يعلن الجهاد ضد دولة المسخ يهود؟

إنّه لم يستطع أن يطبق حكماً شرعياً واحداً، بل سقط في سبيل المجرمين كما اعترف رئيسهم من التنسيق الأمني بين دولته والمجرمين، وكما رأى الناس كيف يطلبون الرِبا ليسدوا مفاسد الطواغيت السابقين، فكانت العقوبة الإلهية التي رآها العالم أجمع، فلم ينفعهم وكيلٌ ركنوا إليه حين ارتفعت عنهم نصرة الله وتأييده. وأمّا طائفة الجهاد فقد توكلت على الله، واعتمدت عليه، وأيقنت بوعده، مع ما هم فيه من الضعف، إلّا أنّ الله أراد بهم وبالأُمَّة خيراً، بل إن ما نراه من الدمار لكل مظاهر الحياة في أرض الشام وإن كان شراً في الحال يتألم له كل مؤمن

صادق، إلّا أنّ البناء للجهاد الذي يحقّق الوعود لا يكون إلّا على مثل هذه الأرضية، لأنّ هذه الأرض بهذا المعنى هي كأرض أفغانستان لا يخشى فيها أمير المؤمنين الملا عُمَر تهديد أمريكا ولا غيرها من طواغيت الغرب والشرق، فإن البلاد المترف أهلها هم من يخاف الجهاد، لأنّه يذهب ترفهم ونعيمهم، ولذلك هم يقبلون الذّلة والمهانة خوفاً من ذهاب دنياهم، ولذلك قال المصطفى ﷺ: ((والله ما الفقر أخشى عليكم)) وهذا وإن كان في الأشخاص إلّا أنه في الأمم أعظم، فإنّ الترف عدوُّ الحق وعدوُّ الجهاد وعدوُّ طائفة الحق، بل المُترفون هم أعداء الأنبياء، ولذلك فإن ما يؤهله الله تعالى لهذه البلاد من الخير أعظم مما يحبه الناس كما قال تعالى: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ والنّاس إن بكوا اليوم هذا البلاء سيفرحون يوم أن تصبح بلاد الشام مأسدة المجاهدين التي يأوي إليها كل صادق.

لقد كان من صدق هذه الطائفة المجاهدة أنها مادة الحق حين الملمات، وحين النكاية في أعداء الله تعالى على الرغم من كل الدعاية السوداء القذرة المأجورة ضدها، ولقد أفرغ وأعوانهم وكذا مشايخ الإفك والضرار الكثير من قيئهم للصد عن هذه الطائفة؛ ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾، هذا مع الظلم الأسود القذر كان هناك الحبس والتعذيب والقيد، لكن أين هذا كله من زرع الله تعالى الذي يأبى إلا أن يُتِمَّ ويستوي على سوقه، فله الحمد حتى يرضى جلَّ في علاه.

ولوصول هذه الطائفة إلى هذه المحطة الخطيرة من الخير، وأهل العلم والدين والسلوك يعلمون أن الارتقاء في العلم يعني زيادة البلاء في الشبهات، وأن الارتقاء في مقامات الخير من نصرٍ ومالٍ ونعَم يوجب زيادة البلاء في الشهوات، فليس مقام الفقير في البلاء كمقام الغني، ولا مقام الأمير كمقام المأمور، وكذلك فإن ما يُعرَض للعابد أشدُّ مما يُعرَض لغيره من الشهوات، وكلُّ ذلك داخلٌ في قوله ﷺ: ((يُبتلى الرجل على قَدَر دينه)) وهذا المقام اليوم يعني المزيد من البلاء، ولما كان الدين النصيحة كما أخبر الحبيب المصطفى ﷺ فإن الواجب على من علم أن يرشد غيره، وكما أن من الدين كشف مقامات المفتونين من العصاة وأهل البدع فإن من الدين بل من واجباته نصح أهل السُنّة وطائفة الحق، وهم في دينهم ومعرفة مقامهم فيه وفي الوجود يوجب عليهم الاستماع والإصغاء، ومن أعرض عن هذا فإنه يذهب نفسه عن الدخول في الحق، وأما الدين فهو لله تعالى، هو ناصره ومؤيده والله يحذر ويتوعد المُعرِضين بقوله: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ نعوذ بالله من ذلك.
ومن أجل ذلك فإني أحب لإخواني الخير مع كماله وتمامه وأنبههم إلى أمور هم أحقُّ بها، عسى الله أن يرفع بها مقاماتهم ودرجاتهم في الدنيا والآخرة.

«طائفة الحق لها غاية صياغة العالم على وفق الدين والحق، وهدم هياكل الجاهلية»

لقد كانت مهمة الجاهلية منذ أن دخلت الأُمَّة تحت سلطانها إقامة حياة الناس، مسلمين وغير مسلمين على قيمها في كل سبل الحياة، وخاصة الحاكمة فيهم، وقد اهتموا في إدخال العالم كله تحت حكومةٍ واحدة ودينٍ واحد وشريعةٍ واحدة، كما نرى الأُمَمَ المتحدة ومجلس الأمن وإلزام العالم كله بهذه الشريعة، ولقد عملوا في إدخال الأقاليم في مؤسساتٍ حاكمة هي درجاتٌ موصلةٌ لتحقيق السيطرة الكلية عليها، فدخل العالم كله من خلال هذه المؤسسات تحت سلطانهم السياسي، كما صاغوا العالم كله في طعامه وشرابه وبيعه وشرائه في شريعةٍ واحدة تضبط إيقاع كل درهمٍ فيه، ولقد كان السلطان السياسي والاقتصادي وسيلةً قويةً تمنع أيَّ محاولةِ انفكاكٍ عن مركزيتهم وقيادتهم، ولذلك كان من وسائل الباطل في التغيير هو الذهاب إلى الأعراض دون التوجه إلى المركز في كل قضايا الأُمَّة، والجاهلية في اطمئنانٍ تام أن خروج أي حلقة من حلقات الردّة من هذه السيطرة يعني موتها، لأنها لن تستطيع أبداً العيش في طعامها وشرابها وإدارتها بعيداً عن قوة مركز الجاهلية الغربي، ولذلك كان من جهالات البعض أن سمّى مجرد الارتقاء باسم الإسلام من خلال قيم الجاهلية نجاحاً في تحقيق مقاصد الإسلام كما فسّر ذلك البعض فيما جرى في تركيا، والمرء وإن كان يرى أن هذا الوضع خيرٌ من حكم العَلمانية الصلبة كما يسميها أهلها، إلا أن من الجهل اعتبار أن هذه حلقةً إسلاميةً خرجت من سلطان الجاهلية، بل الحقيقة أن هذا مجرد هيكلٍ جاهلي بدهان إسلاميٍّ رقيقٍ زائف، فإن الإسلام مع قيم التوحيد يعني الخروج الكلي عن الجاهلية ودينها، بل وجهادها حتى يكون الإسلام فقط هو الحاكم على قيم العالم كله، وما وقع من حادثة صلح الحديبية التي سُمِّيت بحكم القرآن فتحاً مبيناً هي في واقعها اعترافٌ من عالم الجاهلية (قريش) لسلطان الإسلام الذي له الحق في إدخال الآخرين في حلفه، وقد شرحت هذا لمن أراد الإستزادة في [مع صبغة الله الصمد] في موطن [صلح الحديبية] منه.

فالعالم قريةٌ صغيرة محكومةٌ بالمركز الطاغوتي ولئن أرادت الحركة الإسلامية في كل برامجها أن تُخرِجَ حلقةً من إطار هذا المركز لتحقيق دار الإسلام فيه، إلا أن إرادة الله الحاكمة قد جرت على وفق علم الله تعالى وحكمته ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ إلى غير هذا المسار، وهو تفتيتُ هذه المركزية وإضعافها، وكل محاولات الجماعات الجهادية في إقامة «دولةٍ» إسلامية، أو «إمارةٍ» إسلامية بائَت بالفشل، ومن تَفَكَّر في هذه المسارعة، وهي الذهاب سراعاً إلى تسمية دولة إسلامية كان وجهه الدخول في لعبة العدو ومساحته وخطوط صراعه، بل الأمر كان على وجه ما قاله أبو بكر بن العربي عن أبي حامد الغزالي: "دخل في جوف الفلاسفة ولم يستطع الخروج."

وهذا من سقطات الحركات الجهادية في الفترة السابقة، وقد كلف هذا المسار الكثير من الجهد والوقت، وكان دافعه تحقيق معنى «الدولة» في هيكلها الجاهلي، لا في إطار مفهوم الدار الشرعي، فإن النفوس تتشوف إلى «دولة» إسلامية على وفق ما للجاهلية من دول حتى كان من أخطاء حركة طالبان المباركة الذهاب إلى طلب مقعد هذه الدولة في الأمم المتحدة وهو دخول الصراع بين الجاهلية والإسلام ضمن خطوط الجاهلية مع أن طائفة الجهاد في أصل وضعها الخروج عن هذه الخطوط بالكلية، وهذا الذي يخيف الشيطان وجنده ومركز الجاهلية، بخلاف طوائف العمل السياسي البدعية، وكان من آثار هذا نتائج فقهية ومنهجية بعد السقوط في عدم التوفيق الإلهي بإقامة هذه «الدولة» على هذا الوفق، ومن هذه الآثار أن البعض أراد التعامل معه بعد هذا التمكين الجُزئي على أساس الخلافة العظمى التي توجب بيعة كُلِّ مسلمٍ لها، وهو خطأٌ فقهي يقترب في خطوطه مع مفهوم الإمامة الرافضي، حتى إن بعضهم ممن ذهب عنه كل مظاهر هذه «الدولة» وأقول مظاهر فقط، بقي على هذه النفسية والمفهوم.

والقصد أن طائفة الجهاد لا يمكن أن تكون مهتديةً، تسير سيرها المبارك لتحقيق الوعود إلا إذا كان في نفوس قادتها هدف صياغة العالم كله على وفق مراد الله الشرعي، وهذا لا يتحقق إلا بإضعاف مركز الجاهلية حتى يتحقق الإعتراف بها كما اعترفت قريش بحلف النبي ﷺ الذي يقابل حلفها وأممها المتحدة على الكفر والشرك، ومما يعلمه كل مراقب أن كلَّ حركةَ جهادٍ في أيِّ بقعةٍ من العالم يقفز المركز نحوها وكأن الصراع مباشَرٌ معها، بل هو كذلك، وغداً عندما تتقدم في قوتها إلى تحقيق الوعد بإزالة دولة يهود، فإن الأمر سيكون أعظم وأكثر تكاليفٍ معها، وسيكون الحال أشبه بغزوة الأحزاب التي أرادت بها قريش استئصال الإسلام من جذوره كما ظنَّت وأَمَلَت.

هناك الكثير من الحلقات الصغيرة تتوق إلى الخروج من مركزية الطاغوت، لكن الخروج الفعليَّ صعبٌ لارتعاد أرجلها من عاقبة هذا الخروج، وشأن دعوة الحق وطائفة الجهاد أن تَجُرَّ هذه الحلقات على الانعتاق، وهذا قد وفقت فيه بفضل الله تعالى كثيراً وإن لم يبلغ إلى منتهاه كما هو بَيِّن.

هذا التصور القرآني المأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ يوجب على المهتدين السلوك السُنّي لتحقيقه، وأول شروطه الخروج من مفهوم الجماعة الصغيرة التي أكبر شأنها إحداث النكاية فقط، فهذا المفهوم وهو التعرف على أساس جماعة النكاية كان مقبولاً في زمنٍ مضى، بل هو واجب الوقت يومها، لكن طائفة الحق والجهاد قد خَطَت بفضل الله تعالى أبعد من هذا الواقع، ولذلك من الواجب الفقهي الخروج عن هذا الفعل إلى أفق واجبات الوقت الحادثة، والحديث هنا عن التصرف المبتدأ من قبل هذه الطائفة لا ما توجبه رَدَّة الفعل الآنية المحكومة بظروفها.

وإن من واجبات هذا المعنى هو إعادة صياغة مفهوم الجماعة، وهناك مقدمات موفقة يمكن البناء عليها، لكن العَرَجَ الفقهي عند البعض، بل العَمى عند بعض هذا البعض يمنع من التقدم نحو الصيغة التي تلائم الواقع، ومن المعلوم في السياسة الشرعية أن إعمال الإمامة منوطة بمصلحة الرعية، لا ضابط غيرها، وهذا إن كان في أعمال الإمامة العظمى فكيف بما هو أدنى منها؟ ولذلك كُلُّ تَعَلُّقٍ بقولٍ أو اختيار بل عند البعض هناك تَعَلُّقٌ بأحاديث على وجهٍ غير صحيح يمنع تحقيق صياغةٍ مناسبةٍ تلائم متطلبات المرحلة هو ستار يمنع كشف الهوى أو الجهل، وفي الكثير منها محبة الرئاسة، ومن الواجب القول: إن الناس ينفرون للجهاد وتحقيق النصر لدين الله تعالى، لكن هناك ثمة أناس مع دينهم وتقواهم ومحبتهم نصرة الحق إلا أنهم يقعون في مفسدتين اثنتين:

أولاهما: أنهم يريدون النصر على أيدي جماعاتهم دون غيرها تحت حجة الأقدمية حيناً، أو تحت سبق البيعة لهم، أو غيرها من الحجج، وهذا كان عيباً بيناً في جماعات البدعة، حتى سماها بعض المهتدين "بصنم مصلحة الدعوة" إذ صارت الجماعة، لأنّها هي هو، وهو هي مقصداً ذاتياً يصارع له وينتصر له، والواجب التنبيه أنّ فتنة الإمامة في الأُمَّة هي التي أفسدت دين الكثر من الناس، وأُريق من أجلها الدماء، وحصلت الفرقة والاقتتال، وهي وإن كانت أقلُّ في أُمَّتنا من الأُمَم الأخرى إلا أن هذا الجانب هو أسوأ جانبٍ في تاريخ أُمَّتنا، ومع هذا التاريخ الذي يحقق العبرة لكل منصف إلّا أنه مازال الناس فيه كأسراب القطا يتبع بعضهم بعضاً.

ثانيهما: إن من ضعف البصيرة على النفس وتلجلج الهوى فيها أنّ البعض يريد أن يتخذ سبيل حبَّ الجهاد في نفوس الأُمَّة وشبابها سلماً لنصرة جماعته ابتداءً، فالناس لا ينفرون لنصرة جماعة، ولا لتقوية واحدة على أخرى، لكن نفرتهم من أجل الدين، وهذا من الجميع ابتداءً بلا مثنوية، ولكن تحول «الفكرة» إلى «مؤسسة» ضرورته ينذر ببعض الأمراض، وهي طغيان مصلحة المؤسسة على «الفكرة» وقد يختلط النفسي بالموضوعي فيها، فالمؤسسة وإن كانت شخصاً اعتبارياً، إلا أن قيام البعض عليها على وجه التمام أو الأغلبية يجعل المؤسسة ذاتاً شخصياً لأشخاص، وهذا مرضٌ دقيق يحتاج إلى ورع وتقوى وبصيرة على النفس، والقليل في التاريخ الإسلامي من تَنَبَّهَ لهذا، ورضي الله عن إمام الفضل فيها الحسن بن علي بن أبي طالب حِبِّ رسول الله ﷺ.

والجماعات في دين الله تعالى وسيلةٌ لحفظ الدين، ولا تكون أبداً هي الدين بذاته يقاتل من أجلها إلا حين يكون المقابل الكفر والضلال، وأما سوى ذلك فمصلحة الأُمَّة هي مناط الحكم وجوداً وعدماً، لا يحتج أحدٌ بغير هذا في اتخاذ قرارٍ أو فصلٍ في خصومه، ومن فَقِهَ هذا على وجهه فإنه يوجب ضرورة على أهل الجهاد المصير إلى

موقفٍ واحد، وذلك عند الافتراق كليةً على وجه يقدم الجهاد خطواتٍ نحو مقاصده، ومراعاة ظروف الناس وتفرقهم إلى شعوبٍ وأُمَمٍ وقُرى وقبائلَ أمرٌ مهمٌ لدى من يعاني هذا الوجه ويعرف واقعه، فأمر الجماعات الجهادية يحتاج إلى خطابٍ يرفع نفسية كُلِّ فردٍ فيها إلى أُفق تحقيق صياغة العالم كله على وجه الهداية القرآنية، وكذلك إقرار الوسائل السُنَنيّة التي تحقق هذا المقصد، وهناك فرقٌ كبيرٌ بين الشعار وبين البناء النفسي، وإن كان البناء النفسيُّ والعلميُّ يحتاج إلى الشعار، لكن لا تحصل به الكفاية دون غيره من الضرورات.

وجهاد أهل الشام سيرقى غداً إلى محطاتٍ خطيرة، وقد بدأت نذر هذا جلياً، فلا ينفعه التفكير الموضعي، فإن هذا هو شأن الجندي الذي يتعامل مع هدفٍ محددٍ أمامه، والقائد لا يقبل منه هذا السلوك، وكذا لا يظن ظان أن مجرد فقه الرجل بالأحكام ينفع في حل المشكلات، ومن المعلوم أن الحاكم أكبر من المفتي والمفتي أكبر من الفقيه، فإن من ضرورات الإفتاء تحقيق المناط، وهو معرفة الواقعة على وجهٍ صحيح، ومن أهم ضرورات فقه الواقع الخروج من دائرة الجاهلية بكل صورها، والذهاب إلى الهدف بخطوط غير خطوطها، وإلا سيكون خاضعاً لأحكامها القدرية النافذة فيه، وإن من الهداية قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾، والطاغوت وجنده لا يمكن أن يفرض قانوناً يُحقق السبق والغلبة لخصمه، فبمجرد دخولك في ساحة الصراع على وفق قانونه وأسلوبه يعني الخسارة حتماً، وهذا الذي أقوله هو ما يقوله دهاقنتهم، فإن خوفهم هو ظهور القائد المسلم الذي يسير على غير خطوطهم في ساحة الصراع معهم، ومن ظن أن خصومنا أغبياء فهو الغبي، والله يقول: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ فهم لا يتركون الأمور للصدفة كما يسمونها، ولا يملون عن مراقبة البدايات لكل أعدائهم، ومن راقب التجارب السابقة علم أن بعض الانتصارات الجزئية لطائفة الجهاد كانت عامل غفلة عندهم، وجعلت فيهم الجرأة على اقتراف الأخطاء، وقد استغلت الجاهلية هذه الأخطاء وحققت مقاصدها في سلب جوانب النصر الجزئية، ومن تذكر في الحالة العراقية رأى ذلك جلياً، وكان الأولى في الحركة الجهادية أن تعيد البحث في هذه المرحلة، لكن العادة جرت في العقل المسلم منذ زمن تعليق الإخفاقات على قوة الأعداء أو مكرهم، أو سطوة المنافقين، وهذا خلاف الهدي القرآني كما يراه طالب العلم في حديثه عن موقعة أُحُد في سورة {آل عمران} ولذلك من عجائب ما يُبصره المهتدي أن يراه توفيقاً في أعمال النكاية من عملياتٍ استشهادية وبطولية يقابلها عجزٌ وعَيٌّ في أعمال القيادة الكلية، وإلى هذه اللحظة لم تقع مراجعةٌ لهذا الفصام بين النجاح في العمل الجهادي الفردي والموضعي وبين الإخفاق في النتائج الكلية، فما زالت صور البطولات الإيمانية حاضرةً في كُلِّ موطنٍ كالشيشان والبوسنة والعراق، تقابلها نتائجَ عكسيةً على مستوى النتائج الكلية، وإنه من السهل الهروب من المسائلة بأن تبعد مسؤولية هذا الإخفاق على الغير كما يحلوا للبعض تفسيره وشرحه.

وإنه مما يحزن القلب في هذا الجانب أن الحركة الجهادية قد ذهب كثيرٌ من قادتها الذين عاشوا معها من بدايتها على الجهة التي نراها، ولم يبق إلا القليل منهم، لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين، ثم تأتي أجيالٌ من المجاهدين حديثة الأسنان، وفيها حماسٌ وافق صور البطولية الموضعية، وهؤلاء يأخذون الصدارة بسبب عوامل معينة، ليس هذا الموطن لشرحها، وتصبح مواعظ ونصح الآخرين مجرد كلماتٍ لا تأخذ ما تستحق من النظر، ومن تأمل السيرة النبوية يجد أن المحن والابتلاءات لم تكن تجري على وجه اليقين من تحقق النصر بلا احتمال الزوال الكلي، وأكبر شاهدٍ على هذا غزوة حُنَيّن، فإن الصحابة ﷺ فرغوا إليها بعد الفتح الأكبر، واحتمال الهزيمة فيها لا يعني إلا الهزيمة الكلية وإفناء الإسلام كله، ومنشئ هذه الهزيمة هي أخطاء عسكرية وإيمانية، ولولا ثبات قلة مع الحبيب المصطفى ﷺ لكان للتاريخ شأنٌ آخر، ومثلها حادثة ردّة العرب بعد وفاة النبي ﷺ، فالأخطاء الصغيرة لا تحقق هزائم قليلة في بنيان الإسلام، هذا مع استواء الإسلام على سوقه في القوة والتمكين، فكيف لو كانت هذه الأخطاء في زمن البناء وعدم الاكتمال؟

والصدق مع الإخوان الأحبّة لا يعني التصفيق لهم، بل قول الحق لهم حتى لو أغضبهم، وإني لأعتبر أن موقف الصدّيق أبي بكر ﷺ مع فاطمة رضي الله عنها في عدم إعطائها إرث النبي ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ هو أشدُّ ما يُبتلى به الصديق والمؤمن، فإن إغضاب العدوِّ لا يتعب النفس بل يُفرحها كما قال تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ لكن الرهق بإغضاب الحبيب في الحق، وهذا ما يُتعب الصادق والمحب، وقد قال المرء كلمته ضد الطواغيت وأهل البدع، فما ازداد إلا فرحاً بإغضابهم، أما أن يظن أحدهم أن من الدين أن يسكت عن الإخوان في أخطائهم، وهو يراهم يسلكون سبيل الهلكة فهذا والله دونه الموت الزؤام، ولقد قلت كلمةً سابقة: إن من الواجب على القيادة المهتدية استبعاد المتعصبين للأسماء والهياكل، وإن التجربة تقول: إن هذا شاقٌ على القيادات، لأن النفس تميل إلى من يوافقها ويزين فعلها، ومن تَفَكَّرَ بحال الصدّيق مع الفاروق، أو بحال ذي النورين مع علي ﷺ جميعاً لعلم أن الحق على خلاف ذلك، فإن التقريب يكون للمهتدي لا للموافق المصفق فقط، ولذلك فليقل المرء كلمته، ولا يعتذر عنها، وليَمضي إلى ربه وقد صَدَقَ الأُمَّة ونصح لها؛ إن الحركة الجهادية قد قَدَّمَت الكثير من صور البطولة الإيمانية، وقد أحيا الله بها الكثير من الحق، وأحدثت الكثير من النكاية في أعداء الله، وهي أولى المناهج في قربها إلى الحق، لكن إخفاقاتها في تحقيق المقاصد الكلية للجهاد، وأقول الكلية، وإلى الآن تغلب على نجاحاتها، ولقد أفرحني ما وصلني من الإخوة في اليمن أن قد كتبوا نتائج تجربتهم في السيطرة على المناطق وما تحقق لهذه السيطرة من نتائج، سواءً كانت إيجابيةً أم سلبية، فإن هذا هو شأن المهتدين.

الدولة الإسلامية في العراق بهذا المفهوم والشعار تجربةٌ أخفقت في الحفاظ على مكتسباتها الكلية، ومن الواجب إعادة النظر في هذه الرحلة لا الذهاب بها على الوجه الذي قرأه الناس لهم بقولهم: "إن الدولة الإسلامية في العراق والشام باقيةٌ ما دام فينا عرقٌ ينبض أو عينٌ تطرف ولن نساوم عليها أو نتنازل حتى يظهرها الله أو نهلك دونها" ولو أراد المرء أن يقول في هذا الكلام كاشفاً فيه من الغلط لقال الكثير لأنه كلامٌ يقال لإمامٍ جليلٍ في الجهاد هو الحكيم الظواهري لا لعدوٍّ يقصد إفناءه أو إيذاءه، لكن يكفي أن أشير إلى أن (الدولة) واسمها وشعارها صار مقصداً بذاته، يقول فيها ما قاله رسول الله ﷺ في أمر التوحيد الذي دعا إليه قريش، وساومته عليه، وهكذا تتحول الوسيلة إلى عقيدة، وهذا يمنع إن كان على وجه الحقيقة لا المبالغة في الكلمات كما هو شأن البعض ممن يصرخون ويتكلمون؛ أقول يمنع ما هو أجَلّ من اسم الدولة وهيكلها وهو الاتحاد الذي يحقق النصر، وهذا الكلام مني ليس نُّصرةً لجانبٍ على جانب، لكنه تنبيهٌ على أخطاءٍ في داخلنا، ومن ذلك عدم جعل المؤسسة وسيلةً لذلك لا مقصد يقاتل عليه، والمرء يستطيع أن يقول لقائل هذا القول: إن الجهاد في سبيل الله تعالى هو الذي يقال له هذا الكلام، لا لاسم جماعةٍ من الجماعات الجهادية وهذا كلامٌ لا ينبغي أن تحمَّر له أنوف إن كانت تحب مصلحة الجهاد والدين، لكن السيئة في الجهاد لا تحتمل ولا تقبل مهما بلغ صغرها في نظر البعض، وإخفاقات جماعة جهادية كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ يرتد على الجهاد كله لا الطائفة فقط، وإن من الشر وجود هذه النفسية التي لا تقبل النصح ولا تراعي المواقف في القيادة، بل من أعظم الشر، وهي ليست مقبولة في الجنود والأتباع،و سيئة فيهم، أما الكبار والقادة فجريمةٌ كبرى.

سيقال لي الكثير: "أنت أسير، والأسير لا قرار له." وسيقال لي: "أنت لا تفقه الواقع." وسيقال لي أكثر من ذلك من جهالات صغارهم عندي كطنين ذباب إذ لم يتحلوا بالأدب والحب، وكلماتهم هذه من نحو "أسير، وغائب عن الواقع" يعلم أهل العلم أن منبت القول فيها هو الجهل، فأنا ابن هذا الطريق، أعرفه ككفِّ يدي، عشته ومازلت أعيشه في ليلي ونهاري، أرقب فيه دبيب النمل بل أقلَّ منه، وأما ما لقيته فيه فعند الله الجزاء والله يغفر للجميع.

ولقد اضطررت أن أنبه على هذا فإني أخاف طنين صغار الذباب على هذا الطريق لا على نفسي، كما أخاف حماسات حدثاء الأسنان فيه، والله يتولانا جميعاً بهدايته ونصره وتأييده، وإني والله لم أخف تهديد كبار الطواغيت فكيف أخاف من كلمات جاهلٍ لا يعرف عواقب الأمور ولا كيف تنشأ الفتن ولا كيف تصير.

والذي أقوله هنا: ألا تستحق هذه الملاحظة النظر والتفكُّر، والمرء يرى كيف كان إخواننا في مالي يصرخون ليل نهار أنهم ينتظرون فرنسا لتأتيهم، ويخرج الصغار من أصحاب الشعارات ليتحدوا وينذروا ثم لم يحتمل أمرهم وزوال

تمكنهم أسبوعا واحداً؟ ومثل ذلك يقال في الصومال كذلك، هذا لا يقوله المرء على وجه التعبير حتى يرد عليه بالقاذف والصاروخ، إذ كيف يُعَيّرُ المرء نفسه، لكن يقوله الناصح ليتكلم فيه الكبار لا الصغار، واللطف الإلهي سار بهذا الجهاد منه وحده إلى هذا المصير في الشام المباركة، فمن الخوف بل الرعب على مصيره أن يُسار فيه ما سار من سنن على سوابقه، والناس يعلمون أن شأن الدولة الإسلامية في العراق كان عماد قوتها هم إخوةُ صدقٍ كان شأن اسمهم مجرد تنظيم، ثم رأوا الصدق بينهم أن هناك دولةً ممكنةً في هذه الديار فصاروا إليها، ثم كان ما كان من عودتها إلى واقعٍ لا يتخطى تسميته تنظيماً جهادياً، والذهاب إلى إبقاء تسميته «دولة» هو من قبيل «الأمل» لما سيكون، لا من قبيل توصيف الواقع، ولكن لهذه النفسية والعقلية التي صاغت الكلمات التي تَقَدَّمَ ذكرها، أرادوا أن يتخطوا من أعطاهم القوة في تحقيق مُسَمّى الدولة يوم أن كانت وقبل ذهابها، فتأمّل هذه المفارقة العجيبة، ثم تأمل طنين الذباب المصفق لهذه المفارقة.

هناك الكثير مما في النفس مما رآه المرء وأبصره ليتحدث عنه، لكن ليس هناك من داعٍ لذكره، وما ينكره المرء هنا هو من الواجب الذي لا يجوز كتمانه في هذا الوقت ولو جاز ذلك لسكت المرء ووسعه السكوت، فإن المرء عانى من الموقف السياسي الحاكم على كثيرٍ من النصائح وعدم إذاعتها، لما يعلَم أن إعلانها هو توهينٌ للحق وإشاعةُ الشرِّ عليه، لكن هذه الفرق اليوم بين طوائف الجهاد في الشام المباركة أمرٌ معلن، ولا مبعث له صحيح من مقاصد الإمارة والشرع، فإن تَفَرَّقَ أصحاب الهديّ الواحد والمَقصَد الواحد في الإمارة والقيادة والشارة لا يفسر إلا بهذا، رضينا أم كرهنا، لأن هذا وصف الكتاب والسُنّة لا غير، وإن فسرنا الأمر بغير هذا جمعنا هوى فوق هوى فحُرِمنا الهداية والتوفيق، وكان أول هذا الحرمان عدم التوبة ثم عدم الإصلاح، ومن كان هذا مبتدأه، فإن العواقب لا يعلمها إلا الله، وكل من طلب من هذا «الأسير» أن يقول غير هذا فإنّما يطلب منه أن يخون كتاب الله ونفسه وإخوانه من المجاهدين.

هل هذا الكلام يُغضب البعض؟ إن كان الجواب نعم، فالعيب فيهم لا في قائله، والكلُّ يعلم أن الله جمع بين الظن والهوى في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ ومن قرأ شرح هذا الاجتماع في كتاب الاعتصام علم أن مثل ما نراه من الافتراق (وهو ظن لمخالفته أمر الله بالاجتماع) لا ينشأ إلا بدافع الهوى، والله يغفر لعبيده، وللذكر فإن هذا ليس اعتذاراً من كلمة حقٍّ يعتقدها المرء، لكن إعمالاً لقوله تعالى: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ وأما الذين يتدثرون بعلمهم للواقع دون كاتب هذه الكلمات فليسألوا الناس هناك عن آثار الافتراق الذي حصل بعد الإعلان من قبل (الدولة الإسلامية في العراق من أن جَبهَة النُّصرة هي فرع لها) وليُطبّق قاعدة الشرع المُحكَمة أن أعمال الإمامة منوطة بمصلحة الرعية، ليرى أكان هذا موفقاً أم غير ذلك.

الشعارات يتقنها الكثير، لكن العبرة بإحسان العمل عند مضايق الطرق واللز فيها، والان قد أظهر البعض أن عنده أمرٌ إلهيٌّ سيمضي فيه، وهو مخالفٌ لمن أمره أن يلزم ولايته المكانية في العراق، مع أن هذا الأمر هو من أعطاه قوة التزكية ليكون له شأن، وهذا ما نعلمه اضطراراً بخلاف ما لا نعلمه مما ترشح به الأمور ويدل على أكثر من هذا المعلوم اضطراراً، فليظهر أمر الله تعالى ليعلمه القاصي والداني ويلزم به المخالف الذي أمره بضده، ولا يستمع لجاهل أحمق يأزه ليعلن نفسه إمارةً إسلاميةً ممكنةً لها حقُّ البيعة في رقبة كلِّ أحدٍ من المسلمين، فمثل هذه اللوثات عانينا منها الكثير من قبل ورفعها من هم على الشاكلة ممَّن تعميهم الأسماء والشعارات عن الواقع، وممن يستعجلون الشيء قبل أوانه بتخيل وجوده وإعطائه أحكامه كما هو الرافضة ممن صرخ صارخهم:

أضر بمعشر والوك منّا ... وسموك الخليفة والإماما

وعادوا فيك أهل الأرض طُرّاً ... مقامك عنهم سبعين عاماً

فدين الرفض وحده – لقلة عقله – من يسمي غير مالك الشوكة والسلطة خليفة، وتلوث بها بعضهم للعجز بأن توجد حقيقة هذا الاسم، فسارعوا إلى تسمية الفراغ به، ثم ذهب الذاهبون يسألون عن دليل شرط التمكين والسلطة لتسمية الخليفة به، واليوم لمجرد سلطةٍ في قريةٍ أو خربةٍ نُسارع لهذا الاسم والشعار، وكأن هذا هو ما ينقص هذه الحقيقة الجليلة لإعطائها هذا الاسم، ولو حاجٍ محتجٌ أنَّ الأمر كان قريباً سابقاً في العراق، حيث يحكم أهل الإسلام، فما الذي يجعل الأمر اليوم على هذا المعنى سوى الرغبة في إمامة أعمال الجهاد في غير موطن، مع ما يعلم هؤلاء أن هذا الأمر ليس لهم، فإنهم زادوا أو نقصوا لا يعدون كونهم فرعاً لسابقين في القيادة والإمارة.

لقد نصحت إخواني سابقاً باستبعاد المتعصبين للأسماء والتنظيمات، ونصحت لهم أن لا يبخلوا في نفوسهم شأن من يشرع لهم (أفعالهم ويزيد فيها أكثر من مبتدأها)، فإن المرء عانى من هذين الصنفين الكثير، وخاصة القسم الثاني منهم، فإن التجربة تقول صارخةً أن ثمة أناسٌ صغار لا يجدون أنفسهم إلا في الخصومات، حيث تميل النفس إلى الاستقطاب، فيشعر هؤلاء أن لهم قيمةً مرتفعةً في سوق الخصومة، حيث يرغب بهم الشارون، فهؤلاء شرٌّ على الجملة، والبصير لا يَتَسَتَّرُ بهم، فإنهم ثوب سوءٍ وعُري، ولا ينفع في باب التقوى، ومثل هؤلاء من سبّوا الحسن بن علي ﷺ لما أعطى صفقة يده لمعاوية ﷺ فسموه: وهذا الحكيم – أعني الحسن ﷺ – كان يعلم شأن هؤلاء مع أبيه من قبل – أي علي ﷺ – فهم من خذله في كل موطن – وهم من دعا ربه على المنبر أن يقبضه حتى لا يرى وجوههم، ووالله لقد رأيت مثالاً من هؤلاء حيث كان أشدُّ خوفه أن يعلن الإخوة المجاهدون قبولهم لأمر الدكتور أيمن الظواهري، فإن مثل هذا يذهب أهميته وقيمته، إذ لا يراها إلا في الخلاف والافتراق، أو في باب تحقيق مصلحته لا مصلحة الأُمَّة والجهاد.

الأمر عندي بَيّنٌ في هذا الأمر، إما أن تأخذ التقوى وحسن العشرة وحفظ الإحسان والسبق إمارة الجهاد في العراق إلى ما فيه خير الجهاد وحالاته بامتثال أمر الدكتور أيمن، فإن لم يقع هذا لم يطعه الجند فامتثلوا هم الأمر دونه، وإما أن تأخذه نصيحة!!

إنّ ما نحبه ونعلم أن الله يحبه لأمر به في كتابه أن يكون الناس في الشام يداً واحدة وراية واحدة، وعندي هي جَبهَة النُّصرة التي جعل الله لها القبول في الناس، وأحبوها دون سواها، ولو تَفَكَّرَ من أخاطبه لعلم أن الدين والعقل ومخالفة الهوى هو هذا السبيل دون سواه، ومصلحة الجهاد وتحقيق الاجتماع عليه، ودرء مفاسد الافتراق يُبذل لها الغالي والنفيس، والمرء وإن وجد في نفسه أن له حقاً قد نوزع فيه والإخوة قد يجدون في أنفسهم هذا، لكن ذكرى الدار الآخرة وحب اجتماع المؤمنين، والنظر إلى العواقب ومصالح الدين تدفع كل مؤمنٍ أن لا يتوانى في سلوك طريق الاجتماع حتى لو فاته حقه هذا، وهؤلاء إخوةٌ صدقوا قد نفروا للجهاد، والموت في سبيل الله تعالى ينتظرهم في كل لحظة، فأن يذهبوا إلى ربهم وقد اجتمعت الكلمة وقد خلفوا هذا الذكر الحسن على ألسن المؤمنين هو ما نحبه لهم ويحبه لهم كلُّ مُحبٍ لهم.

إخفاق الجماعات الإسلامية التي اختارت مفاهيم الجاهلية في الوصول إلى أهدافها حقق الكثير من المعاني في نفوس العلماء والأُمَّة، فمع أن هذه الجماعات تربط ضابط المصلحة بالنتائج إلا أنها لم تُعد ترتيب عقلها الفقهي في هذا الجانب بل أُجبِرَت على التمادي في هذا الخيار الجاهلي الخطير، والسبب هو عينها المصوبة دائماً إلى خارج الأُمَّة من إقناع الزنادقة من أبناء هذه الأُمَّة، وإقناع الأغيار من المجرمين أنهم خيارها الأصلح في القيادة والسلطة، وهذا مرضٌ سرى حتى استحكم في العروق، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾، وهذا ليس موطن مناقشتهم فقد فرغ منه سابقاً إلا أن الحديث الآن عن التداعيات النفسية والواقعية على هذا الإخفاق، وذلك بدلالته على سقوط ما تبجح به الجاهلون أن وصولهم الزائف إلى السلطة الشكلية هو ضربةٌ قاضيةٌ تحققت لهم ضد العمل الجهادي، فقد تبين أن هذه مجرد أوهامٍ وأحلام، ولا واقع لها، والقوم يحكمهم الواقع الراهن لا النهايات، والسبب هو خطأ التقييم الشرعي والواقعي كذلك، فإن الواقع يدل أن آثار الطواغيت مُستَحكِمَةً في نظم الجاهلية وهياكلها، وخاصةً في الجانب القضائي والأمني التنفيذي، فأيُّ سلطة قادمة لا تتلاءم مع خيارات الجاهلية في القضاء والأمن المستحكم بعمق سيؤول إلى ما آلت إليه سلطة هذه الأحزاب الإسلامية، وهذاه القُوَى لا تتغير بالتربية كما يزعم البعض، لأن الزمن عند سلطان الجاهلية في مصلحتها وليس في مصلحة الدعاة ولا المصلحين، والواقع دليل صدقٍ على هذا المعنى، والطريق الوحيد هو نقض الجاهلية ونظامها برمته وبلا استثناء، وخاصةً هيكلها الأمني والقضائي، حينها يمكن البناء الصحيح على قيم الإسلام الحق فالدخول في جور الجاهلية، والعمل من خلال هيكلها بالدعوة إلى تغيير الشخوص والرتوش هو مهلكةٌ تصيب الساعين إلى أهدافهم، وفي مصر تَبَيَّنَ أن مجرد الخروج ولو قليلاً عن سكة الجاهلية هو خطٌ أحمر عندها يؤذن بالقتل والسجن والإهلاك،

وهذه العواقب التي تمارسها الجاهلية حتى وهي في أوج كذبها في ادعاء الديمقراطية كما يزعمون هي العواقب التي تُحسن جماعات العمل السياسي من اقترافها عندما تأتيها الفرص.

لقد زعم الجاهلون أن الأمر الإلهي بالقتال ضد المرتدين هو خيارٌ نفسي لم يراعي الفرص التي تطرحها الجاهلية لهم بالوصول إلى أهدافهم بالتمكين من خلال وسائل أقلَّ كلفة، والآن قد تَبَيَّنَ أن هذا مجرد وهمٍ كاذب، وهذا الوهم ليس خاصاً بعالمنا الإسلامي كما يظن البعض بل هو عامٌ في الوجود كله، فالجاهلية إنما تسمح لبعض خياراتها بالوجود من خلال نظامها، وأما الخيارات الأخرى فلها حقٌّ واحد هو القتل أو السجن أو التشريد.
هل هناك من أفق خيرٍ قادمٍ لمصر؟ الجواب نعم، والمستقبل للإسلام فيها ولا شك، والمرء لا يجوز له أن يجري سُنّةً خاصةً على بلدٍ من البلاد لمجرد قراءة تاريخها، كما يفعل بعض الدارسين، لأن الإنسان ليس حالة علمٍ تاريخيٍّ ثابت، بل هو صناعةٌ تتحول وتتغيَّر، لكن ما يحبه المرء لهذا البلد الذي شكل تاريخياً جناحاً إسلامياً مع الشام لتحقيق أهداف الإسلام في القضاء على الصليبيين والتتار، فقد اهتمت به الجاهلية منذ البداية، أي منذ هجمة نابليون عليها، حيث رآها قاعدة ارتكازٍ لنشر الثقافة الكافرة ولتحقيق الوعد الكاذب لليهود في فلسطين (وللذكر فإن وعد نابليون المجرم كان قبل وعد بلفور)، ليتحقق الفصل بين جناحي الأُمَّة في المشرق والمغرب، ومنذ ذلك الوقت ومصر تُمَثِّلُ نقطة الارتكاز للثقافات في العالم الإسلامي لثقلها المتعدد، أقول إن المرء ليحب أن يجري لها الخير على وجه ما أجراه لها في السابقات من تاريخها، فمن نظر في تجارب التحول فيها يرى سُنّة مكرٍ على وجهٍ بائنٍ فيها، فقد رأى التاريخ كيف صار الأمر فيها من حربها على سلطان العبيديين من الكفرة على يد الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، فإنها لم تَحتَج إلى فتن داخلية ليتحقق هذا النصر، بل الأمرالحسن لها هو الذي وقع كما ذكر لنا التاريخ، فإنه أي صلاح الدين لما أرسل نور الدين زنكي مع أسد الدين شيركوه إلى مصر بحسب طلب وزير خليفتها المتخلف العبيدي وذلك سنة أربع وستين وخمسمئة، ثم انقلب هذا الوزير مع النصارى ضد جند أسد الدين واسمه شاور، ثم لما دخلوا مصر قتل صلاح الدين شاور هذا وقطعت الخطة للعبيديين وعادت إلى سلطان الإسلام السُنّي وفرح المسلمون بهذا وألَّف ابن الجوزي كتاباً سماه [النصر في مصر] أو ما شابه ذلك كما ذكر أهل العلم، والقصد أن المرجو لها أي لمصر، هذا المعنى بأن ييسر لها رجل صدقٍ يزيل عنها هؤلاء الكفرة الفجرة ويحقق فيها سلطان الإسلام، وهذا المعنى هو ما نرجوه في أماكن أخرى كالجزيرة العربية كما سأذكر هذا في حلقات الردّة المتأثرة لا الفاعلة كما هو شأن الحكومات في الجزيرة العربية. وهذا الذي وقع لصلاح الدين هو ما فعله محمد علي الملقب بالكبير في أنحاء سلطان المماليك البحرية وإن كان محمد علي هذا لا يُمدح، ولا هو من طينة الملك الناصر صلاح الدين ولكن القصد بيان صور كيفية تحقق التغيير في هذا البلد المهم.

وعلى كلٍّ فالإسلام هو القدر الوحيد القادم لهذه الأُمَّة ويُجري الله له من الأقدار ما يحقق العِزّة والتمكين له رغم أنف أعداءه المجرمين، فإن كان هذا القدر قد تحقق لعصبةٍ مؤمنة تزيل صناديد الكفر من مراكز القوة في الجيش والأمن والقضاء ويتحقق حكم الله فهذا خير وإلا فإن أهل الجهاد فيها من أهل البذل هم وقود هذا التغيير، وقد بدأ بحمد الله ما يدل على هذا.

تقدم القول أن هناك ثمة حلقات ردّة قد خرجت من سلطان الإسلام بفعل تأثرها بمركز الكفر وقوته، ولأنها دولٌ غير فاعلة، وبعضها من خلال القراءة يدل على رغبته في الانعتاق من سلطان هذا المركز، وصورة الحال هو ما تحقق في صلح الحديبية كما شرحته في [مع صبغة الله الصمد] فأرجو الرجوع إليه، وهذه الحلقات من الغلط الانشغال بها، ولا توجب اهتمام الجهاد لها، فمثل هذه الحلقات تتبع القوى الفاعلة بحسب ميلها، ولا تستطيع بذاتها التأثير ولا التغيير مقابل قوة الآخرين وبضعف هذا المركز يتم انعتاقها وتمردها، ومن واجب جماعات الجهاد التمييز بين الفاعل والقابل كما يقرر بذلك المناطقة، والجهاد بفضل الله تعالى استطاع أن يصنع التأزيم اللازم داخل الجاهلية، وخاصةً الآثار الاقتصادية، وكشف أكاذيب الجُبن والنفاق، وصار من السهل لنظم صغيرة قابلة الرفض والاعتراض على المركز، وهؤلاء لهم أسبابٌ متعددةٌ لهذا الرفض، لكن يكفي الآن مجرد التمرد، وكلما قويت عدة المجاهدين، وتحقق لهم النصر كلما زاد التمرد والانعتاق، وحتى يحصل التعادل الكلي في مظهر الأحلاف والتكتلات كما حقق ذلك صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وقريش، وكثير من أهل الدعوة والإصلاح يعذرون أنظمتهم الضعيفة هذه من اتخاذ مواقف البراء الإيمانية بسبب تصورهم هذا كما يعتقدون، فإنهم يرون عدم قدرة هذه «الكنتونات» و «الإمارات» و «المشيخات» و «المملكات» على مناكفة مركز الكفر، ولكن إقامة الحُجّة ستقع بمقدار تحقق النصر للمجاهدين في وجود الأعذار حين لحوق هذه «الكنتونات» بحلف الإسلام، أو عدمه بلحوقهم في حلف الكفار، مع أن الواقع بكل تفاصيله يدل أن هؤلاء – الآن – هم كفار كمن يتولونهم، ومظهر هذا اللحوق بحلف الإسلام حين تظهر قوة المجاهدين في ثلاثة أمور:

1- تحكيم الشريعة
2- موالاة المؤمنين ومعاداة الكفار
3- إعلان موقف دين الله تعالى من قضية فلسطين ودولة يهود

فكُلُّ واحدةٍ من هذه المذكورات ستؤدي حتماً إلى جهاد وملاحم إيمانية تعيد صياغة العالم على أساس الإيمان والكفر كما يُبَيّنُ ذلك رسول الله ﷺ، ولذلك من الواجب نشر دين الله تعالى في حكم الدخول في أحلاف الكافرين كالأُمَمِ المتحدة ومؤسساتها، وجامعة الدول العربية كذلك، فإنها منظماتٌ كفرية شركية للداخل فيها من

هذه الطوائف حكمها يعلم ذلك المبتدؤون في هذا الدين. وهذه الطوائف منها ما يُزيّنُ حالة الكفر ومركزه، وقوته وضعفه، والحال كما كان الناس من العرب يرقبون ما يؤول إليه القتال بين النبي ﷺ وقريش حتى يلحقوا بالمنتصر منها، ولما تحقق النصر للرسول ﷺ قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

ومن هذه الحلقات من وصل الحال به على الوضع السابق من معاداة الإسلام إلى خريف العمر ونهايته كما هو الشأن في مملكة آل سعود فقد هرم الأبناء الذين يتوارثون الملك، ولقد مات تعاقباً اثنان من ورثة المُلك بعد هذا الهرم الآن، وأبناء هؤلاء كلهم يطمع في الملك، وسيؤول الأمر إلى خصومة بل ربما إلى قتال، فليست الصلة رحماً تقطع في الملك والصراع عليه وقد قال عبد الملك بن مروان لما قتل عبد الله بن الزبير – وقد كان خير صديقٍ له قبل المُلك: "المُلكُ عقيم".

وعلى المُلك قتل الأخ أخاه كما قتل المأمون الأمين، وأبناء العم سيختلفون ولا شك، وليس هناك واحدٌ يرضى بذهاب الملك عنه إلى نسل ابن عمه الآخر، والمؤمل أن تؤول الأمور وقياداتها إلى رجلٍ صالح تتحقق على يديه الخيرات لأهل الدين، خاصةً عند تطور الأمور المحيطة بمثل هذه الحلقات، وما يقال عن هذه المملكة يقال عينه كذلك عن بقية «الكنتونات» الصغيرة، فهي ساقطةٌ بفعل الدفع الأول الذي سيحققه الجهاد في بلاد الشام إن شاء الله، وما يؤمل فيها وفي غيرها.

وهذا لا يعني فراغ الأُمَّة من المحن والفتن والملاحم، بل والمتوقع هو اشتعال أرض المسلمين فيها حتى تتحقق الوعود الإلهية القادمة، ولا يكره القادم من هذه الملاحم إلا أهل الترف والضلالة والخمول، ولكن كل هذا سيكون جمعاً واحداً موجهاً إلى بيت المقدس إن شاء الله تعالى، وهذا تصديقٌ بأن الاختيار القدري الملائم لتحقيق هذه الوعود والملاحم من خروج هذه الأُمَّة من واقع الترف المهلك كما تعيشه الآن، ولذلك ما يكرهه الناس من الدمار وذهاب الترف والدعة هو ما يحبه الله تعالى لهذه الأُمَّة، لأنه هو واقع الجهاد وأرضيته الملائمة له، ولا يعدم محاولة خروج هذه الحلقات من سلطان الجاهلية أن ينشط هذا المركز الخبيث به أمريكا وأوروبا لغزو هذه الأطراف ليأمن مصالحه كما فعل من قبل، كما لا يأمن أن ينحاز بعض هذه «المشيخات» إلى صف الجاهلية ومركزها كما فعلت من قبل أصولها في الإنحياز ضد الأُمَّة ومصالحها، وللأسف فإن في الأُمَّة الكثير من أهل الجهل كالأعراب وأمثالهم ممن عملوا دوماً مآرب جاهلية ضد الإسلام وأهله.

وهناك من حلقات الردّة من لا يتصور وجوده إلا باعتماده على مركز الجاهلية، بل هم لم يُصنَعوا إلا لمقاصدها، ولا يمكن قدراً قيامهم على وجه الاستقلال، فهؤلاء سيعاني منهم المجاهدون الكثير إن اتخذت الجاهلية وجودهم وصراع المجاهدين معهم حجة للدخول إلى أرض الإسلام وقتل وقتال المجاهدين، ولكن الله ﷻ لهم بالمرصاد، والمؤمل سقوطهم كنُظُمٍ كرتونيةٍ فاسدةٍ ضعيفة.

الحديث عن أفغانستان حديثٌ طويل، لا يزيد عن البشارات التي يعلمها المتابع، وقد تبين للمنصف أن «العقلية الفقهية» التي تنتجها حركة طالبان المباركة هي التي تحقق صورة الإيمان وواقعه، لا كما تنتهجه جماعات «الفكر الإسلامي» كما يسمون أنفسهم، فهذا الفكر لا ضابطَ له، إنما هو مجرد رؤى ذاتيه لأصحابها، وهي أشبه بالإستحسان المذموم الذي قال فيه الإمام الشافعي رحمه الله: "الإستحسان تشهي"، وبركة تلك الأرض للجهاد لا ينكرها إلا جاهل، كما أن موقفها الإيماني يدخلها في سلسلة الإيمان التي تدفع الثمن مقابله، ومُلا عُمَر الذي قال: "هما وعدان؛ وعد الله، و وعد بوش، وأنا أثق بوعد الله."

جرى أن يحقق الله تعالى ثقته وتوكله وما رجاه منه ﷻ، وإن مجرد قبول أعداء الله من الأمريكان فتح مكتب للإمارة الإسلامية في أفغانستان وقبول التعامل معها على شروطها لهو نصرٌ عظيمٌ على الجانب السياسي، وهو الذي لم يكن يتحقق إلا بسبب بلاء الجهاد وصبر أهله عليه في أرض أفغانستان، ولذلك هذا نصرٌ عظيم يدركه كل متابع يفهم كيفية خضوع الجاهلية تحت ضغط ضربات المجاهدين، والمجاهدون في أفغانستان يعلمون معنى الصبر والثبات وعدم الاستعجال جيداً، ومهما بلغ صبر الجاهلية فإن الزمن ليس في صالحها هناك، خاصةً مع قومٍ يُحسنون تحويل الجهاد من حالة نخبةٍ صغيرة إلى حركة أُمَّةٍ وشعب، وهذا ما يجب علينا دوماً تعلمه هنا في بلاد العرب، لا ما يريده البعض صارخاً أن الدعوة قد امتدت خارج إطارها ويجب تقليمها وتهذيبها، كلامٌ لو صدر من عدو لكان مفهوماً، لكن أن يصدر من صاحب دعوةٍ يجعل من دينه على معنى دين اليهود الذي لا يصح دخوله إلا (شعب الله المختار) لا الأُميين (الغوييم).

حالة أفغانستان اليوم تُمّثّلُ للجاهلية خرقاً يستنزف منها مقدراتها واقتصادها وهي تسعى للتصالح مع «عميلٍ» يحقق لها أرضاً كبقية بلاد المسلمين تجبي الخيرات والثمار لصالحها، وطالبان عصيةٌ على ذلك، كما سعت إلى إيجاد صحوات مرتدة و «جيشٍ شعبي» من داخل أهلها فعجزت عن ذلك كذلك، والمؤمل هو تحويل أفغانستان كحالة سورية الشام هنا، أي صورة إيقاد الأُمَّة الإسلامية فيمن حولها.

«معالم للمجاهدين؛ فرق بين منهج الجهاد وجماعاته وبين جماعات الغلو والانحراف»

اعلموا أيها الإخوة الأحبّة أن منهج الجماعات المجاهدة دوماً يعتمد على أمرين:

أولاهما: اعتقادها أنها جزءٌ من الأُمَّة، وأن كل جهادها كان يسير لأمرين: دفع الصائل على دين المسلمين وأعراضهم ودمائهم وأموالهم، والقيام لواجب التحريض للمؤمنين والنكاية في خصومهم، وكان العموم من أهل العلم فيهم يرون أنفسهم كجمر النار الذي يسعى جهده لإشعال النار في العشب الرطب، وهذا العشب هو الأُمَّة، فمقاصد الجهاد العظمى في إزالة الغربة وتحقيق الوعود والتمكين لا يكون بهذا الجمر وإن كانوا هم أصله، لكن هذا يتحقق بالأُمَّة، وقد سعى المرتدون والكافرون دوماً – وهم شياطين – لعزل هذا الجمر عن الأُمَّة ولإبعاد تأثيرهم عنها، وقد نجحوا نوعاً ما، حتى إنهم بعد أحداث سبتمبر/أيلول استطاعوا عزل قتالهم تحت دعوى قتال الإرهاب لا قتال الإسلام، وقد دعمهم في هذا أكثر المشايخ وطوائف الإسلام الأخرى من حزبيين وغيرهم، ولذلك كان السعي دوماً للصلة مع الأُمَّة، لأنهم يعلمون أنه لا تتحقق المقاصد العظمى بالنخبة ولا بالطائفة الصغيرة مهما بلغ علمها وقوة دينها واتصالها بالحق، وهذا من سُنن الوجود كما يعلم الناظر في كتاب الله تعالى وفي كتاب التاريخ، ولذلك كانت دعوة هذه الجماعات موجهةً إلى الأُمَّة بحيث هي صاحبة الشأن في خطاب الله تعالى، لكن بمعصيتها في هذا الأمر قام به من علمه من الصادقين المجاهدين.

ثانيهما: أن قيامها للجهاد هو من أجل حق أُمَّة الإسلام جميعاً في عودتها إلى منصة القيادة والإمامة، فهذا الحق ليس قاصراً لهذه الطائفة بل للأُمَّة جميعاً، وإن كان واقع الأمر أن الأُمَّة محاطةٌ بالجهل والعجز والكسل فتقديم العلم النافع المتعلق بالنوازل والواقع في بيان حكم طوائف الردة، وتقديم نماذج الإيمان في حب الآخرة وإيثارها الموت على الحياة كان هو السبيل الذي مارسته جماعات الجهاد بحمد الله تعالى.

هذان الأمران هما على الضد من فكر منهج الغلو المنحرف، والذي يقوم على عزل الأُمَّة بإخراجها جملةً من دين الإسلام، والاكتفاء بالحكم عليها وسبّها، بل وزعم بعضهم أن هذه الأُمَّة أقلُّ شأناً من أن يبذل المرء وقته وجهده ونفسه من أجلها، وهذه ضلالاتٌ بعضها فوق بعض، فبعضها الجهل وهوى النفس، وهؤلاء حملة هذه الضلالة قد يخترقون يوماً جماعات الجهاد، لا بتآمرٍ جماعي كما يظن البعض، ولكن لأسبابٍ متعددةٍ يطول شرحها، منها

ما هو حقٌّ في نفسه، ومنها ما هو متصلٌ بالمنهج المنحرف نفسه، وهؤلاء قد يحصل لهم القبول من البعض وخاصةً من الشباب المتحمس والمُغيَّب عن العلم وأهله.

قد يكون لهما القبول كذلك مرات لنكايتهم في أعداء الله تعالى في مواطن الجهاد، لكن فساد هؤلاء فيما يأتي من الزمن، فإنهم ما أن يشعروا بشيءٍ من القوة والقيادة حتى ينقلب جهادهم ضد الأُمَّة نفسها لا ضد أعداء الله وأعداء الأُمَّة، وتحت عناوين متعددة: كسلامة الطريق من البدع، أو لتحقيق التوحيد الصافي، فيبدأون بنفسيةٍ غالية في الحقد في هذا الطريق حتى يصل إجرامهم إلى المجاهدين أنفسهم، وهؤلاء رأينا منهم في الجهاد في أفغانستان وفي الجزائر وفي مواطن أخرى أعفُّ عن ذكرها الآن، وبسبب هذه العناوين الكاذبة ينقلب الجهاد على عقبيه، حيث يرتد سهمهم الموجَّه أساساً في الجهاد ضد الطواغيت إلى قتل المسلمين من عوام مساكين ومجاهدين قد نفروا لنصرة الدين.

واعلموا أن منهج الغلو ليس في باب الفقه والأحكام فقط، لكنه ذلك في وقائع الجهاد واختيارات القيادة، ولذلك قال النبي ﷺ عن أئمتهم: ((يقتلون أهل الإسلام ويذرون أهل الأوثان))، فأهل الإسلام حقهم التعليم والتأديب والنصح والشفقة والرحمة لا القتل الذي هو حق المرتدين، ولكن هؤلاء بالتشدد في الأحكام يسترون أفعالهم تحت قتل المبتدع أو المرتد، والسُني يعلم من دينه أن المبتدع الذي لا تنقطع بدعته إلا بالقتل قُتِل إن كانت بدعته مُغَلَّظَة، وكذلك المرتد، لكن الطامة في تحقيق المناط، وهذا الذي يوقع المفتي في أخطاء هؤلاء الضلال، فقد يسأل: "أيُقتَل المُرتد؟" فالجواب الشرعي: نعم، فيحمله الضال على غير وجهه، وتأمّل أن يأتيك واحدٌ من هؤلاء وهو يكفر شيخاً من الشيوخ فيسألك عن حكمه عنده فترد أنه مسلم، فيحكم عليك بالردة لأنك لم تكفر الكافر، فيأخذ فتوى المفتي على هذه الواقعة.

وهكذا يتسع الأمر، فهناك من نبت من خلال طوائف الجهاد من جعل إمارته ركناً من أركان الدين وتسمّى باسم الخليفة، ثم كان من جماعته كما اعترف هو بنفسه مَنْ حكم بالكفر على كل من لم يبايع هذه الخلافة والإمارة، والموطن الآن ليس للرد على هذه الضلالات فقد فرغ منها، لكن للتنبيه أن هناك فرقاً بين جماعات الجهاد التي قامت لتُحيي الأُمَّة وتعتبر نفسها جزءاً منها، وتعتقد أن النصر الذي وعد من أهل الإسلام لا يتحقق إلا بالأُمَّة، وأنهم ليسوا سوى داعين لها، رحماء عليها، وبين منهجٍ ضال ما أن يحمل السلاح حتى يعمله في هذه الأُمَّة المسكينة.

ولذلك من الواجب الشرعي الحذر من هؤلاء، وإعلان المفارقة لهم، وأننا لسنا منهم وليسوا منا، وإن البعض ممن لا يعرف عواقب الأمور ليأنف من هذا الموقف بحجة أنهم إخواننا، وأننا وإياهم على المنهج ولكن الخلاف يسير، ذلك لما يرون منهم من تكفير الطواغيت والبراءة منهم، وترديدهم كلام أئمة الدين والهُدى، وكأنهم يتصورون أن أهل الغلو اليوم يمكن لهم أن يحتجوا بكلام نافع بن الأزرق وأمثاله، ولكنهم لا يعلمون مقدار فساد هؤلاء وإجرامهم، وغلوهم في الدماء وجرأتهم عليها، ووالله إن الواحد من هؤلاء لَمُفسدٌ للمئات بل أكثر، وإن الخوف من هؤلاء أشدُّ من غيرهم، لاشتباههم على الشباب خاصةً، والقصد أن كل من يريد أن يحرف الجهاد عن مساره بتحقيق مصالح الدين والأُمَّة هو خارج عن منهج هذه الجماعات المهتدية التي تحقق بها كثير من الخير في مواطن الجهاد والبلاء.

والجهاد المبارك اليوم في بلاد الشام كان خصيصته الكبرى أنه لم يخرج من رحم مدرسةٍ فقهية، ولا حزبٍ من الأحزاب، بل أقبلت عليه أُمَّةٌ مسلمةٌ مظلومة، مقصدها تحقيق شرع الله، فتسارعَت إليه الطوائف والأحزاب لتقطف هذا الحماس جَنْياً إلى حجرها، فبعضهم بالمال، وبعضهم بالدعوة، وكأن الجميع رأى في هذه الجموع أرقاماً تصلح لتنفيذ مراده، فكثرت الجماعات والأحزاب، ولم يبق جماعةٌ قائمةٌ أو كانت ميتة إلا وسارعت لقطف هؤلاء المساكين إليها، حتى أولئك الذين لم يؤمنوا بجهاد المرتدين يوماً بل كانوا يستهزؤون بطوائف الجهاد عندهم، وكذلك أولئك الذين اعتذروا عن موقعةٍ خاضوها ضد النظام النُصيّري المرتد يوماً، فحلفوا الأيّمان أن لا يعود لمثله أبداً طول الدهر، وذهب قادتهم وأعلنوا الصلح معه، بل كانوا يرسلون الشفعاء تترا ليسمح لهم بمجرد الوجود ورفع القوانين المحرمة ضد جماعتهم، فكل هؤلاء وأمثالهم سارعوا لوضع موطن قدم لهم في هذا الجهاد، وأهل الإسلام في سورية الشام قد عاشوا سنواتٍ عجافٍ مظلمة، مليئةً بالجهل والظلم، فما أن فتح الله لهم باب الخير بل أبوابه حتى سارعوا إليه، وكان الواجب المسارعة إليهم بالرحمة والشفقة والحرص عليهم وعلى جهادهم ليبلغ أهدافه ولا أشك أن هذه نوايا الجميع، فالكل يظن أنه الأقرب للحق ولإقراره في الأرض، ولكن خفاء الهوى ومقاصد النفوس لا تظهر في البدايات، ولذلك بدأت النزاعات والتنافس لا على مقدار ما يحصل من السبق إلى الخيرات ولكن على مقدار المحصول إلى الجرين، ومن راقب بعض المشايخ وحديثهم عَلِمَ أن المشكلة في هؤلاء الحسد والظن بالنفس ظنون الغرور أنهم أولى بالإمامة في هذا الجهاد من غيره، ولكن الله تعالى رضي للعبيد من هذه الأُمَّة بقاعدة الحسن القدرية الجليلة: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ وقد بورك في طوائف الجهاد، وصاروا أئمة الجهاد هنا في الأرض المباركة، ولكن يخاف عليهم كما يخاف على كل صالح من الغفلة والغرور، لأن يظنوا أنهم خارج سنن الاستبدال أو الزوال، فينسوا قواعد البقاء ومنها قوله ﷺ: ((الراحمون يرحمهم الله)) وقوله ﷺ: ((وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)) وقوله ﷺ: ((ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر)) وقوله ﷺ: ((إن الله رفيقٌ يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطي

على العنف ولا على ما يعطي على ما سواه)) وقوله ﷺ: ((من يُحرَم الرفق يُحرَم الخير كله)) وغيرها من الأحاديث التي تعني بأسباب البقاء ومنع لحوق العناء في المال والسلطان وغيرها من أعراض الوجود، وبعض الناس اليوم لغفلتهم يظنون أن صواب الاعتقاد على طريقة السلف كان لتحقق النصر ودوام البقاء وهذا غلط في دين الله تعالى، وعلماؤنا كابن تيمية وابن خلدون – رحمهم الله – هم من رفعوا شعار بقاء الدولة الكافرة العادلة قدراً، وزوال الدولة المسلمة الظالمة قدراً كذلك، فللوجود موازين كما يقرر هذا القرآن بوضوحٍ وجلاء.

فهذان أمران هما أُسُّ عمل المجاهدين وطوائف الجهاد:

1- اعتبار أنفسهم من هذه الأُمَّة فهي مادة الخير والوعود، وما هم إلا طلائع خيرٍ لها، وكلُّ إقصاءٍ لها لا يكون بمعنى عزلها وطردها وجعلها مادةً للقتال والحرب والإهلاك، بل يكون من باب التحريض والدعوة، وقد أمر الله بها.
2- الشفقة والرحمة على الأُمَّة، وذلك بتعليمها قبل العقوبة، وبإرشادها على معنى الأخوة والحنان، لا بالاستعلاء والغرور والكبر، ومن تفكر في تاريخ عامة شباب طوائف الجهاد علم أن حالهم قبل الهداية صورة لحال هذه الأمة اليوم، فالجهاد لم يأت للعقوبة لها، ولا لجلدها وسفك دمائها، ولكنه لرفع الظلم عنها، ولإزالة الطواغيت الذين أذلوها وأفسدوا دينها ودنياها، ولوضعها على سكة العزّة والجهاد وغلبة الأعداء، وإزالة أغلال الظلم الذي قُيّدَت به.

ولذلك من الخطأ المسارعة إلى إظهار صورة المانع الحاظر والمتشدد والمُنفِّر عند حصول بعض الظفر والتمكين، وكأن صورة طوائف الجهاد على وجه المنع لا العطاء، والتشدد لا الرحمة، والنبي ﷺ يقول: ((بَشّروا ولا تُنَفروا))، ولتطبيق الأحكام الشرعية وهي واجبةٌ لا اختيار لنا معها يجب تركها لأهل العلم والقضاء والفتوى والاختصاص، فلا يجوز لأحدٍ ولمجرد أنه مجاهد أن يقيم حكماً على مقدورٍ عليه، بل يجب إيكال أمره إلى أهل الشأن في أمثاله، ولقد كنت أرغب أن أرفق في هذا الموطن الحديث عن مهمات طوائف الجهاد من القضاء والفتوى والتحكيم، والبعض أساء بقواعده خاصةً من حصول مناط هذه الأعمال إلا أني سأرجئ الكلام تفصيلاً إلى رسائل قادمة، وخاصةً في الرد على من زعم شعاراً غير موفق بدعوى تدرج في تطبيق الشريعة، وهي دعوةٌ لا تمت إلى القرآن والسُّنّة بصلة، بل الواجب تطبيق الشرع في كل حال أو وقت، بحسب القدرة، كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾

ولكن أكثر الناس لا يعلمون معنى تطبيق الحكم الشرعي، وذلك بعدم النظر إلى الموانع والشروط، وهي من أقسام الحكم الشرعي تُسمّى في أصول الفقه بالحكم الوضعي، فإن الحكم الشرعي هو خطاب الله تعالى للمكلفين بالاقتضاء والتمييز والوضع، فقد يرتفع حكمٌ ما لوجود مانعٍ شرعي وهذا المانع هو حكم الله في رفع الحكم الأصلي.

وصورة هذه الحال ما قضى به الفاروق عُمَر بن الخطاب ﷺ في عدم إقامة حدِّ السرقة على رقيق حاطب ﷺ عندما سرقوا جملاً فأكلوه، فظن الجاهلون أن عُمَر ﷺ عَلَّقَ حُكم السرقة في عام الرمادة وهذا جهلٌ، فهذا لا يجوز لعُمَر ﷺ ولا لغيره، بل الواجب القول أنه طبَّقَ حكم الشرع وذلك برفع حكم السرقة عن هؤلاء لمانعٍ شرعي يصرف قطع اليد عنهم، وهذه الحال تفرق لك بين الفقه والفتوى والقضاء، وقد شرحت هذا المعنى في مواطن أخرى متعددة، والقصد أن المجاهد غير مفتي ولا حاكم ولا قاضي لمجرد جهاده، إلا إن تحقق فيه شروط هذه الأعمال الشرعية الجليلة، ولا يجوز للمجاهد أن يقيم حكماً شرعياً على مقدورٍ عليه إلا إن صدر الحكم عليه من ذي صفة لهذا الحكم، وهذا الأمر ليس على جهة الاختيار لأنه الأصلح، بل هو واجبٌ شرعي يجب المصير إليه، ويقترب من هذا المعنى ترك المسارعة إلى ملاحقة الناس في اختياراتهم الذاتية؛ أي ما يتعلق بأعمالهم في شؤون أنفسهم، دون ما يكون من الشأن العام، فليس من الفقه ولا من مهمات المجاهد إن حصل له نوع سلطانٍ وتمكين أن يُسارع إلى صورٍ هي أقرب إلى معنى التجسس على الآخرين، كتفتيش السيارات والبيوت والمحلات عن خفايا أعمال الناس الشخصية، فهذا ليس من سيرة أئمة الدين والسلاطين مع تمكنهم التام في أزمانهم، فكيف يفعله من لم يحصل له إلا ما هو يسيرٌ من هذا المعنى؟ ومثل هذا كذلك ترك فرض الاختيارات الفقهية القائمة على الاجتهاد على المسلمين، فهذا ليس من مهمات المجاهد، ولقد ذهلت أن يفرض المجاهدون في بعض المناطق لمجرد دخولهم فيها، وحصول بعض التمكين فيها على نسائها غطاء الوجه، مع علم الجميع أنها مسألةٌ خلافيةٌ، لا يجوز لأحد ادعاء اليقين فيها، ولا تجهيل المخالف لهذا الاختيار، بل ربما الحق مع من لم يرى غطاء الوجه إلا عملاً من المستحبّات لا الواجبات، والمجاهد له الحق في اختيار ما يعتقده صواباً في المسائل الخلافية، لكن ليس لمجرد حمله السلاح وقتاله أعداء الله تعالى يجعل الحق أن يفرض اجتهاده على الآخرين.

فهذه أعمالٌ ابتداءً هي لغيره، وإتيان المرء باباً ليس له يؤدي للفساد، وتاريخ جماعات الجهاد في أماكن سلطانهم يعلمهم أن لا يكرروا هذه الأخطاء في كل موطن، والواجب على القادة أن يكفوا القواعد والأفراد عن سلوك طريق التشدد والغلو والحماس بلا ضابط، لأن مواطن الجهاد في كل فتراتها السابقة، وفي جهاد المسلمين في سورية الشام مادة أهله هم الشباب، وهؤلاء فيهم الحماس، لكن ليسوا علماء ولا أصحاب تجربة، فالعهدة على العلماء وعلى أهل الخبرة في تدبير الأمور وإجرائها على وفق مصلحة الأُمَّة والدين.

«الجهاد من أجل تمكين الدين لا نصرة مذهبٍ فقهي»

لقد تميز جهاد أهل الاسلام في كل أطوار التاريخ أنه بريءٌ من الاختلاف العلمي الحاصل في داخل أهل الإسلام، بل كانت الأُمَّة لا ترى نفسها جماعةً واحدةً إلا من خلال هذه العبادة العظيمة أي الجهاد في سبيل الله، لأن الجهاد هو الحالة الجامعة لمقاصد الإسلام الكلية في أعدائهم، وأهم هذه المقاصد الدعوة إلى التوحيد وإلى كلمة **لا إله الا الله مُحَمَّدٌ رسول الله**، وتعبيد الناس لربهم في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وباقي مباني الإسلام، وجماعات الجهاد اليوم قامت من أجل هذا المقصد الكلي الذي نقضه المرتدون بترك الحُكم بما أنزل الله والتشريع الشركي على خلاف أمر الله، وكذلك لإزالة المفاسد الكلية الواقعة على الأُمَّة من إفساد حياتها وسلب مقوماتها، ومما لا شك فيه أن هناك مفاسد وجهالات في داخل صف المسلمين كالبدع والإنحرافات والأفكار الدخيلة، وهذه قام لها علماء ومدارس علمية جليلة، ولكن هذه الحالة؛ أي الإصلاح العلمي حالةٌ متجددةٌ في داخل الصَفّ المسلم، ليست من خارجه، وليست موجهةً إلى خارجه، وقد أخطأ البعض في عَدّ هذه الحالة الأخلاقية سبيلاً لنهضة الأُمَّة في إعادة حكم الله تعالى ودفع الأُمَّة إلى سدة العزَّة والمهابة، لأن هذه حالةٌ داخليةٌ متجددةٌ في كل أطوار الأُمَّة، كانت فيها وما تزال، تقوى حيناً وتضعف أخرى، لكنها عند هؤلاء حالة جديدة توافق حالة إقصاء الشريعة و وقوع الذلة والمهانة وهذا غير سديد في قراءة تاريخ علماء الإسلام في كل قرونه وأزمانه، ولانتصار هذه الحالة العلمية على خصومها من الصوفية والمبتدعة والمذهبيين فإن عامة أفراد العمل الجهادي كانوا من هذه المدرسة، ولذلك سارعوا إلى إعلان انتساب العمل الجهادي في اختياراته العلمية إلى هذه المدرسة، حتى صار شعار العمل الجهادي ملتصقاً بهذه المدرسة فيقال: التيار السلفي الجهادي، مع أن الجهاد ضد المرتدين هو جهاد أُمَّة لا مدرسة، وموجَّهٌ إلى تحقيق مقاصد الإسلام الكلية كما تقدم، وهذا الأمر التاريخي سواء كان مصيباً في الاختيار أم خطأ لكنه أدى في النهاية دخول عوارض وارتدادات المدارس الفقهية المتطرقة إلى صف المجاهدين أنفسهم، وقد يكون العذرموجوداً في الاختيار ابتداءً لأن شرعة الجهاد ضد المرتدين لا يمكن إثباتها إلا من خلال البراءة من أمراض المدارس الفقهية الأخرى، هكذا ظننا، وقد يكون الأمر قدرياً لا اختياراً علمياً، فإن كانت الأولى أو الثانية فإن الجهاد اليوم وقد بلغ هذا الحد من التقدم تحت أهدافه فإنه مدعوٌّ إلى إعادة إنزاله إلى مجموع الأُمَّة دون هذه الشعارات كما كان كذلك في كل أطواره الربانية السابقة، وهذا الأمر ليس من التصورات دون إنزاله إلى الواقع والعمل، وأنا سأسوق لإخواني ما قاله الإمام الشاطبي في الموافقات ليروا آثار هذا الأمر وضرورته، يقول رحمه الله – والنقل فيه اختيارٌ واختصار لضرورة الأمر –:

"إن المشروعات المكية وهي الأولية كانت في غالب الأحوال مطلقة غير مقيدة، وجاريةً على ما تقتضيه مجاري العادات عند أرباب العقول، وعلى ما تحكمه قضايا مكارم العقول من التلبس من كل ما هو معروف في محاسن العادات، والتباعد عن كل ما هو منكر في ما محاسن العادات، فيما سوى ما العقل معزولٌ عن تقريره من جملة من حدود الصلوات و ما أشبهها (...) إلا أن خطة الإسلام لما اتسعت ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ربما وقعت بينهم مشاحات في المعاملات، ومطالباتٌ بأقصى ما يحقق لهم في مقطع الحق (...)، فاحتاجوا عند ذلك إلى حدودٍ تقتضيها تلك العوارض الطارئة، ومشروعات تكمل لهم تلك المقدمات (...) فأنزل الله تعالى ما يبين لهم كل ما احتاجوا إليه بغاية البيان تارةً بالقرآن، وتارةً بالسُنّة وفصلت تلك المجملات المكية (...) ليكون ذلك الباقي المحكم قانوناً مضطرداً، وأصلاً مستناً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وليكون ذلك تماماً لتلك الكليات المقدمة وبناءً على تلك الأصول المحكمة، فضلاً من الله ونعمة" اهـ

فتأمّل كيف يتم التفريق بين حالة مواجهة الجاهلية الكافرة كيف يترك الخوض في الفرعيات، بل يقتصر على الكليات ثم إن قام المجتمع الإسلامي اقتضى ضرورة وجود حالة علميةٍ موافقة، فالحالة الأولى حالة الجهاد، تجمع الأُمَّة بكل ألوانها الفقهية في الاختيارات والعلوم، لكن أن ينفر المرء لموطن جهاد يضاد الخصم فيه دين الله جملة لينشط إلى مناكفة مخالفيه في داخل الصف الإسلامي فهذا من الوهن والضعف، بل هو ممن يفسد الجهاد ولا يصلحه، وهذه لم ينتبه لها الكثير فيما مضى، ووقع في ذلك أخطاء معلومة، واليوم لتشظّي «المدرسة السلفية» نفسها يخاف أن يرتدَّ هذا على الجهاد نفسه، وفي داخله، والجهاد في سورية الشام قَدِمَ إلى أناسَ بُرءَاءَ من مشاكل المدارس الفقهية في المواطن الأخرى، بل وبُرءَاءَ من الأحزاب الإسلامية، فمن الجهالات الصراع عليهم على أسسٍ فقهيةٍ أو حزبية، بل الواجب جمع الأُمَّة هناك مع أهلها تحت رايةٍ واحدةٍ من أهل الجهاد، وأما في المساجد والمعاهد العلمية فلكُلِّ عالمٍ اختياراته التي يصير إليها بحسب وسعه واجتهاده، ومن مصلحة الجهاد أن لا تُنسب طائفته ولا قيادته إلى مدرسةٍ من المدارس الفقهية في داخل الصف الإسلامي السُنّي، إنما هم مسلمون ضد المرتدين وسُنيون ضد النُصَيّريين والرافضة وكفى، وهذا يؤكِّدُ كذلك ما تقدم من ترك فرض اختيارات فقهية على الأماكن التي يحصل بها نوع سلطان وشوكة.

الجهاد في سبيل الله تعالى ونُصرة الشريعة وتمكين الدين مقصدٌ كلي لا يقف أمامه أيُّ مقصدٍ جُزئيٍّ آخر، والأمر كما قال الشاطبي رحمه الله تعالى: "كل تكملة فلها – من حيث هي تكملة – شرط، وهو أن لا يعود اعتبارها على الأصل بالإبطال، وذلك أن كل تكملة يقضي اعتبارها إلى رفض أصلها، فلا ينصح اشتراطها عند ذلك" اهـ

وليتذكر المرءُ دوماً امتزاج الفكرة بالمؤسسة حتى تتحول المؤسسة إلى قبيلة، فإن المدارس الفقهية قديماً ومثلها الحزبية اليوم تنشأ لصدق اعتقاد الحق في نفوس أهلها، لا يريدون بذلك إلا الحق، لكنها تتحول بعد ذلك إلى مؤسسة، والمؤسسة تصيرُ بعد ذلك إلى مفهوم القبيلة التي يُوالى ويُعادى عليها، بل إنها تتحول عند الكثيرين إلى مصدر خدمة مالي ومعنوي، وهذا ظاهرٌ لمن تأمل المدارس قديماً والأحزاب حديثاً، فيكون هناك مبطلون من قادة وأتباعٍ جَهَلة، كحال القبائل الجاهلية، فيدخل الهوى تحت مُسَمّى الحق الأول الذي تم به بناء المدرسة أو الحزب، وبهذا يعوق معنى الدين في نفوس أهلها وفي نفوس المراقبين لها، والأصل هو كما قال الشاطبي رحمه الله تعالى مرةً أخرى: "المصالح المجتلبة شرعاً والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية، أو درء مفاسدها العادية" اهـ

لقد صار المجاهدون إلى سورية الشام إلى أرضٍ بِكر قام أهلها لتحقيق دينهم ودنياهم فلا يفسد جهادهم الآخرون بحمل مشاكل مدارسهم وأحزابهم إليهم، هذا يقال لمن كان في قلبه تقوى وخوف الدار الآخرة، وخاصةً أننا نعلم أن هذه المدارس كلها حتى السلفية منها، وهذه الأحزاب كلها قد صارت إلى هذا الجهاد في زمن خريفها لا ربيعها، أي في أطوارها المتأخرة، وهي أطوارٌ تغلب فيه الأمراض، إذ لم يبقى من الحقِّ الأول الذي حملوه إلا الشعارات، وهذه مهمة العلماء اليوم في جماعات الجهاد، ومهمات الربانيين الذين يعيدون إحياء الحق وتجديده حتى تزول هذه الغربة بهذا الحق كما ذهبت الغربة الثانية، وهذا الجهاد اليوم كل المعالم فيه تدلُّ على أن ما وراءه من الخير ما الله به عليم، بل هو عندي باب الملاحم والفتن التي أخبر عنها ﷺ، فاللهم اجعلنا من أهل الحق فيه، ومن عدوة أهل الإيمان والطائفة المنصورة بإذن الله تعالى.

وكما يقال عن مشاكل المدارس الفقهية والتنظيمات الحزبية يقال عن مشاكل المهاجرين في بلادهم، فإن بعض المبتدئين يحمل مشاكل مسجده إلى أرض الجهاد، وخلافات المشايخ الشخصية وليس الفقهية فقط، لذلك من الدين توسيد الأمر لأهل العلم والتجربة، وعدم تقدمة الشباب إلا في مواطن الجهاد وهؤلاء يجب أن يسلبوا كل صلاحيات الفتوى والقضاء والتحكيم الشرعي كما تقدم، فليس ظهور المرء في مواطن البلاء بعذر له أن يقضي في ما سوى ما يفقهه وإلا سيفسد أكثر مما يصلح، ولذلك يجب التنويه دوماً بوجوب تنصيب مجلس قضاء وحكم له الإستقلال، لا يكون تابعاً لتنظيم ولا لحزب، كما لم يكن القضاء في تاريخنا تابعاً للسلطان الشرعي نفسه، بل لا سلطان عليه إلا الكتاب والسنة، لذلك فظن البعض أنه بمجرد أن يكون إماماً أو سلطاناً يخرجه من دائرة التدافع الشرعي من خلال السفهاء هو ظن جاهل لا يمت إللى الدين و العلم بصلة، والقاعدة القرآنية حاكمة على السلطان فما دونه في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾

فالباغي لا يكون بنص القرآن إلا الخارج عن حكم الطائفة المحكمة بين الطائفتين المتقاتلتين سواء كان أحدهما سلطاناً أم لم يكن، ولذلك كانت أمنا عائشة رضي الله عنها ترى أن الصحابة ﷺ لم يعملوا هذه الآية في الخصومة الحاصلة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وبهذا يمكن أن يكون السلطان الباغي إن ترك حكم الحاكم بينه وبين خصومه.

ويترتب على هذا المعنى من كون هذا الجهاد جهاد أُمَّة، مع ربطه بما تقدم من الفارق بين جهاد طوائف أهله وطوائف الغلو والانحراف والتكفير البدعي أن لا يقف المجاهدون سداً أمام جهاد أحدٍ أراد نُصرة الدين، فإن رآه أهل العلم من المجاهدين أن فيه بدعة ترك أمر بدعته إلى أهل العلم في مدارسهم وندواتهم ودروسهم، لا أن يتخذ الجهاد مسيراً لإقامة الحدود على المبتدع المخطئ، فهذا مارسه بعض الشباب المبتدئ في مواطن جهادية سابقة وأدى بهم إلى قتل إخوانهم من المجاهدين تحت دعاوى تنظيف الجهاد من أهل البدع — زعموا – فآلَ الأمر إلى أن ذهب الجهاد كله، لأن كل مدرسةٍ فقهية تُبَدّعُ غيرها في أبواب من العلم، فلو طَبَّقَ كلٌّ واحدٍ هذا الفعل في غيره لصار القتال بين المسلمين أنفسهم لا بين المسلمين والمرتدين والزنادقة من النُصَيّريين والرافضة، ولذلك فالحذر من جلب صراعات التاريخ إلى واقعنا، فيكفينا ما فينا من أمراض تحتاج الدهر لإصلاحها، وليس الجهاد اليوم بوسعه أن يقف ضد المرتدين والزنادقة واليهود ونصارى الغرب ومن والاهم إن تفرغ لهم، فكيف نصرفه إلى أمورٍ ليست من مهماته ولا واجباته، ولو تصورنا أن أحدهم صار يحمل كلام شيوخه ضد خصومه في المذهب والاختيار الفقهي من أنهم أعداء السنّة وحمله على ظاهره ثم أعمَلَ السلاح فيهم كانت الطامة الكُبرى على الجهاد وأهله.

«طلب الشهادة مقصد الأفراد وليس الجماعات»

قال المثنى بن حارثة، عن أن موقعة الجسر التي قُتِلَ فيها أمير الجيش أبو عبيدة الثقفي: "هلك قومٌ لم يروا لهم مقصداً إلا الشوكة".

وسبب هذه المقالة البديعة الحكيمة أن أبا عبيدةَ الثقفي لما وصل بالمسلمين إلى مقابلة الفرس، وحال بينهم وبينه نهر، وعليه جسر، فأرسل الفرس إليه: "إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم." فقال المسلمون لأبي عبيدة: "أُؤمرهم فليعبروا إلينا." فقال: "ما هم بأجرأ على الموت منا." ثم اقتحم عليهم، فاجتمعوا في مكانٍ ضيق هنالك فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يعهد مثله، والمسلمون في نحو من عشرة آلاف، وانكشف المسلمون في آخرِ الأمر بعد أن قُتِلَ الأمير ومن وراءه من الأمراء إلى سبعة، كان قد نصَّ عليهم أبو عبيدة واحداً بعد واحد، فقُتِلَ من المسلمين نحواً من أربعة آلاف، واستلم الإمارة المثنى بن حارثة. وقد تعلم المثنى هذا في الموقعة التي تليها وهو موقعة البويب، فإنه لما فصل بينهم الفرات قال الفرس: "إما أن تعبروا إلينا أو نعبر إليكم." فقال المسلمون: "بل اعبروا إلينا." ولما هُزِمَ الفرس تدافعوا إلى الجسر ليعبروا هاربين، وقف المثنى على رأسه ليمنع الفرس من الجواز عليه ليتمكن منهم المسلمون فكان قتلى الفرس يومها قتلاً وغرقاً نحواً من مئة ألف.

والقصد أن مَقصَدَ الشهادة مقصدٌ شريف يُسعى إليه، لكن لا يجوز أن يكون من أعمال الإمارة يرمي بها الأمراء جنودهم إليها، بل الواجب هو حفظهم واستبقائهم وعدم إلقائهم في التهلكة، ولذلك لا يُصار إلى العمليات الإستشهادية من قِبَل أمراء الجند إلا عند الضرورة، وإلا فمقصد الأمراء هو تحقيق النصر والتمكين، وهذا هو مقصد الجهاد اليوم، فإن جهاد طوائف سابقاً كان له مقاصد عدة منها النكاية وإظهار الدين والإثخان في طوائف الكفر وكبرائهم، وهي مقاصد تلتقي مع الأعمال الاستشهادية ابتداءً في فقه البعض، لكن الجهاد اليوم له مقصد التمكين والسلطان وتحقيق النصر والظفر، وهذا يقع بالعناية الملازمة من الأمراء للجنود من مهاجرين وأنصار، وفي مثل هذه الوقائع تُستَخدَم كلمة الفاروق للأمراء: "لا تستعملوا البراء على الجيش، فإنه مهلكة من المهالك يعدم بهم."

وحين يكون الجهاد اليوم في سورية الشام من أجل التمكين فيجب إعمال مظاهر هذا التمكين في أماكن الظفر والنصر، وخاصة أعمال القضاء والإمامة والتعليم، وكذلك تحقيق المقدار المعترف عليه من قوله ﷺ: ((الإيمان جنة)) حتى يتم الحب الذي به يلحق الناس بركب الصالحين والجهاد، ولذلك على القادة أن لا يتابعوا الشباب المتحمس في اختياراتهم ما زال في الأمر سِعةٌ من السهل والتيسير.

التاريخ وأحداثه هو سُنن الله الجارية في الوجود، وفي الحديث عند مسلم: "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر." أي هو جلَّ في عُلاه مُجريه وفق وقائعه وأحداثه ومقاديره، وكانت الوعود النبوية ونبوءات النصر والتمكين والغلبة دوماً وقود أهل الإيمان في إقبالهم على مهمات الأرض وجلائل الأمور، ونقاد مناهج البحث يعيبون النبوءة في السياسة، مع أن أساطين الكفر في المشرق تصنعهم النبوءات الكاذبة، ودولة يهود ما قامت وما سعى إليها المبتدئون منهم إلا بفعل نبوءات التوراة كما يعتقدونها، فالمسلم المهتدي تسوقه وعود النبي ﷺ كما صنعت وقَوَّت الصبر في الصحابة ﷺ يوم الأحزاب لما بَشَّرَهُم وهم في أوج الخوف من الخطف والقتل والاستئصال بفتح كسرى وقيصر ومُلك كنوزهما. وقد مضت سنواتٌ طويلة، ومنذ تحول الأُمَّة إلى غثاءٍ كغثاء السيل كما وصفهم رسول الله ﷺ والدعاة إلى الله والمجاهدون في سبيل الله والعباد يحملون الوعود النبوية في قلوبهم وقوداً لطول المسير الذي يعانونه لأنهم يرون أذلَّ الخلق وهم اليهود بمعونة حُكام الردّة يجوبون في الديار، ويحكمون الأرض المباركة، ويسلبون المسجد الأقصى، كما يرون طوائف من هذه الأُمَّة يلحقون باليهود والنصارى، وحُكام الردّة يوالون المشركين ويحكمون في الدماء والأراضي والأموال والقيم لشرائع الأرجاس والشياطين، وكان ربنا ﷻ يقذف في قلوب هؤلاء العباد النور ليقع التثبيت والصبر ومواصلة الطريق وها هي الآن بشائر الوعود النبوية تطل بنورها وبحرها على هذه الأُمَّة يقودها المجاهدون في سورية الشام نحو بيت المقدس، وفي اليمن وفي أفغانستان وفي العراق، يصاحب هذا النور الممتد أفقاً كنور الصبح الصادق حيث سقطت كل شعارات الجاهلية، ولم يعد للناس في قلوبهم إلا خيار الإيمان والجهاد، يوافق هذا انهيار عالم الشر والشرك، ودخوله في خريف الزوال والذبول، وهذا الانهيار يحتاج بنفسه إلى مصنف مستقل، ويكفي أن نعلم أنه شاملٌ لشُعَب الحياة المادي والمعنوي ولكن لا ينبغي التهويل من شأن خصومنا، ومن النصيحة أن أُذَكِّرَ الأُمَّة بشأن أوروبا وقدراتها كما أدركها سلفنا ﷺ كما في صحيح مُسلِم عن موسى بن علي عن أبيه قال: قال المستورد القرشي عند عمرو بن العاص ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تقوم الساعة والروم أكثر الناس)) فقال عمرو: أبصر ما تقول، قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ: قال: لئن قلت ذاك إن فيهم لخصالاً أربعاً: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك.

فإننا مع علمنا بما هم فيه من الإنهيار والضعف، وانقلاب الحال، وإن المرء ليرى عذاب الله لهم، فأمريكا في كل عام بعد سبتمبر/أيلول تُلاقي حدثاً كونياً عظيماً يُنهك اقتصادها وكأن الله تعالى أراد أن يبر قسم الرجل الصالح أبي عبد الله أسامة – نحسبه والله حسيبه – في هذا البلد المجرم، وقد أعمل المجاهدون عملهم فيها في العراق، وهي الآن تشكو وتأنُّ وتتألم في أفغانستان، ولكن هذا لا يعني أن أمرهم إلى انتهاء، فإن أعداءنا هؤلاء من عادتهم حل مشاكلهم على حساب غيرهم، وهم في أوج فسادهم الداخلي ينشطون إلى غزو غيرهم، وهذا هو تطبيق قول عمرو بن العاص ﷺ: "و أوشكهم كرة بعد فرة"، ونحن رأينا تطبيق مقالة "أسرعهم إفاقةً بعد مصيبة"

فإن هناك مصائب عظيمة قد حلّت بهم، ومع ذلك ينشطون لحلها والإفاقة منها، والقصد أن يعلم أن شأن أهل الإسلام سيكونُ معهم إلى قيام الساعة، لكن هناك فرقٌ بين ما مضى بأن يحرروا إرادتهم في أُمَّتنا من خلال أوليائهم المرتدين وبين أن يواجهوا أهل الإسلام مباشرةً في مواطن البلاء والجهاد، ولذلك فإن بعض حلقات الردّة حتى مع صغرها الجغرافي، إلا أنها تُمّثِلُ عند هؤلاء الكَفرة عقدة الإهتمام وركن العناية، فما أن تقوم سوق الجهاد فيها إن شاء الله تعالى إلا وستُسارع هذه القوى الكافرة إلى نجدتها وإظهار جنودها بدل جنود الردّة ممن يقومون بالدور الآن بدلاً منهم، وبهذا ستتحقق الملاحم المباشرة معهم، وهذا في ظني ما يُظهر معنى الفسطاطين، فسطاط إيمان وفسطاط كفر، لأن غيُّهم ومَكرهم الذي قاموا عليه منذ حقبة الإحتلال المباشر التي أعقبها تنصيب أوليائهم المرتدين ستزول، وهي فترةٌ صنعت العماية في نفوس الناس حول هؤلاء المرتدين، ولم تدرك أُمَّة الإسلام حكم الله فيهم ولا شرعه اللازم معهم، ودلائل جند الشام وجند اليمن اليوم ظاهرة، ولكنها ستزداد ظهوراً بمقدار قوة المجاهدين في هذين الموطنين، وأهمية جند الشام تعود إلى مباشرة هؤلاء الجند في صِدام دولة يهود وحُماتها، وأهمية جند اليمن تعود إلى أهميتها بالنسبة إلى أمرين: جغرافيتها، و كونها مصدر سرقتهم لمُقَدَّرات الأُمَّة، فمن المتوقع الظهور العلني لهؤلاء الأرجاس بعد سقوط وكلائهم في هذين – الجندين العظيمين – من أجناد أهل الإسلام.

التركيبة القادمة المتوقعة هو سقوط المركزية، وهي الحالة التي ستشبه الوضع الإسلامي زمن الحروب الصليبية، وهي خير حالةٍ تستطيع أن تعادل القوة الوحشية لدى العدو، وهي أشدُّ الحالات نكايةً في مواجهة الدب صاحب المخالب الكبيرة، فالقلاع الإسلامية المترامية، والنفير الممتد والمنتشر، وتوالي الضربات التي تثخن فيه هي ما تحقق إرهاق هذه القوى الجاهلية، وحين يحرص المجاهدون على صناعة «الدولة» بالمفهوم المعاصر، فإنهم يدخلون في خطوط اللعبة كما صنعها الخصم، وحينها يخسر المجاهدون عامل قوتهم في موازين الصراع، فمفهوم «الأرض الميتة» أي هيّنة الدخول مع صعوبة الاحتفاظ هي ما ينبغي لأهل الجهاد الحرص عليه، مع الإقتداء الحقيقي في أعمال الشرع اللازمة من إقامة الدين في مسائل القضاء والحكم والتعليم والإرشاد، أما المسارعة إلى تكوين المركزية لمجرد حصول نوع سلطان أو تمكين يعني فقدان عوامل القوة في هذه الظروف من عدم توازن القوة وخاصة الجوية منها.

ما يهم المسلم المجاهد ضد أعدائه هو تحقيق النصر في الدنيا، وأعظم النصر اليوم هو منع أعداءنا من تحقيق مرادهم فينا، وسبيل هذا التحقق هو إزاحة سلطان الجاهلية فوقنا، فإن صنعنا ذلك وأسقطنا هذا السلطان وشظيناه نكون قد صنعنا الكثير، فإن تغيرت الظروف – وهي متغيرة ولا بُد إن شاء الله تعالى – يكون لدار الإسلام الظهور التام والسلطان المتمكن، ولكن الهَمَّ الأكبر اليوم هو إزالة وهم الأمان تحت سلطان الجاهلية، وحينها يمكن لأهل الجهاد أن يصنعوا الكثير في أعدائهم، ولذلك لا تعجب توجه العدو إلى الحفاظ على كيان الدولة الجاهلية حتى لو تغيرت الوجهة في داخلها، لأن هذا الوضع هو الذي يُبقي هذه الحلقات ضمن سلطان الجاهلية، بل لا يمكن أن تنعتق منه حتى لو أرادت، ولذلك يجب صرفُ الهَمِّ الأكبر عند طائفة الجهاد لإسقاط مركز الجاهلية في كُلِّ حلقةٍ من حلقات الردّة، ونشر صورة المدينة المنورة التي تُشَكِّل حالةً متنقلةً وقادرةً بليونتها على إغراق الخصم لو أراد إزالتها، فهي كنقاط التفتيش الطيارة يمكن تحقيق مرادها دون مصادمة قاسية ووجودية ضد آلةٍ لا مجال للتكافؤ بينهما، والذي يحقق هذا المعنى هو إحياء مفهوم «الدار» لا مفهوم «الدولة» وأكرر أن صورتها النموذجية هي الحالة الإسلامية في بلاد الشام لما واجه أهل الإسلام الصليبيون، والصورة اليوم تكاد تتشكل تماماً في الحالة الأفغانية، والعالم الجاهلي مشغول بمادة جهالته وهو الحفاظ على الكيان السياسي الموافق لمفهوم «الدولة» من سيطرة قاصرة على «الدولة» والتمثيل الدبلوماسي الجاهلي في مؤسسات الشرك والكفر العالمي، وهذه يجب الزهد فيها ما استطعنا لذلك سبيلاً، لأنها حالة إغراء لدى الخصوم يحرصون عليها أكثر من حرصهم على الوقائع والحقائق.

هنا تبرز ضرورة «إدارة التوحش» ، وحالة المدينة المنورة تكون نموذجاً لكل قلاع وقرى «دار الإسلام»، وكما كان الهامش قدراً ربانياً في صناعته الجهاد حتى صار إلى سورية الشام واليمن وغيرهما، فإن الهامش في هذه المواطن كذلك هو ما سيحقق موطئ القدم لإرهاق الطاغوت وإزالته.

والمهم أن نصرف أنظارنا عن الصور الخادعة التي يصنعها الطاغوت في نظامه حتى يقع الصراع الأكبر حولها، مع أن الأهمية في المفهوم الشرعي لا تتوجه إليها، فلسنا بحاجةٍ إلى الاعتراف «بدولةٍ» إسلامية، بل لسنا في شوقٍ إلى المسارعة في صناعتها على وفق هياكل الجاهلية، وليس لنا شغفٌ ولا في قلوبنا العشق للعاصمة، وحالة «الجيش» الذي يقابل «الجيش» ليس من همومنا الأولى، بل أعيننا مصوبةٌ إلى «دار» الإسلام التي لا تشغل هَمَّ الطاغوت إن أقمنا فيها ديننا وسلطاننا، وهي منطلقنا لصنع الأحداث النبوية حولها من قتل كعب بن الأشرف، وتحقيق بدر والتي هي مع صغر أعداد المقاتلين فيها لبنةً في تحقيق المعارك الكبرى، إلا أنها – يوم الفرقان – خطورة خطوط الجاهلية في باب الصراع أعظم من خطوطها في باب التعبد الفردي، فعلينا أن ندرك هذه المعاني، ولقد صنع دهاقنة الجاهلية بعد الحرب العالمية الثانية أعمالاً من الحقائق التي تخدمهم، وعالماً من الورق والوهم الذي يخدع خصومهم، وانشغل أهل الإسلام كثيراً بعالم الوهم والورق ظانين أن ملكهم يحقق لهم وعود الإسلام، ولولا أهل

الجهاد الذين هداهم الله إلى عالم الحقائق لكان أمر الوعود الإلهية أبعد ما يكون تحقيقاً، واليوم وقد وصل الصراع، ذروته بحلوله في الأرض المباركة، واقترابه من مجابهة النبوءات التوراتية المكذوبة فإن أهل الإيمان هم الأحق بالبراءة من خداع الجاهلية، ومن الدخول في صراع الوهم دون الحقائق، لأنه لو حصل هذا فإن العواقب ليست في صالح المجاهدين، فاليوم لو دخل المجاهدون «عاصمةً» جاهلية، كما دخل «الثوار» «عاصمة» فإن الأمر سيصير إلى عاقبتين لا ثالث لهما: إما انبطاح «الثوار» ومنهم «مجاهدون» سابقون وقبولهم الدخول في «لعبة» الجاهلية اضطراراً تحت ظرف الواقع، وإما دوام الصراع مع «الناس» وعدم الإنتهاء من ذلك، وستبلع المجتمعات نفسها حتى اليأس، وسيصار إلى خيار الجاهلية فيما هو قادم.

علاج هذا الأمر بالبصيرة والصبر، والإحسان إلى «البؤَر» الإيمانية، والتي يتحقق فيها معنى «الدار» حتى يفزع الكل إلى خيار المؤمنين والمجاهدين، مع مراقبتنا لشُقِّ الكفر والذي تظهر فيه التحولات، وهي في هذا الظرف ستفقد الصبر، وستفقد الوعي، وسيكون حالها حال الثور الذي يكثر الحركة والدوران حتى يحقق لقانصه اللحظة التي يغرز السيف في قلبه.

الإدراك السُنَني لواقع القوة بيننا وبين أعدائنا، والإدراك الشرعي لعدم الدخول في خطوط الجاهلية هو سبيل المجاهدين لتحقيق الوعود النبوية بإزالة الغربة الثانية.

والله من وراء القصد ...

